مطرانية بني مزار
والبهنسا

الكتاب المقدَّس و أهميَّته لحياتك الروحيَّة

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

الأب أنتوني م. كونيارس
نقله إلى العربية : ي.م.

الكتاب المقدَّس

وأهميَّته لحياتك الروحيَّة

مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

نقله إلى العربية
ي.م
٢٠١١م

Anthony M. Coniaris
Introducing The Orthodox Church.
Its Faith and Life

Light and Life Publishing Company.
P. O. Box 26421
Minneapolis, MN 55426-0421
U. S. A.

اســـم الكتـــاب: الكتاب المقدَّس وأهميَّته لحياتك الروحيَّة
اســـم المؤلـــف: الأب أنتوني م. كونيارس
اسم المعـــرب: ي. م. ترجمة بتصرُّف

الطبعـــــــة: الأولى ٢٠١١م
اســـم المطبعـــة: مدارس الأحد
٧٠ شارع روض الفرج
ت: ٢٢٠٢٩٧٤٤
رقـــم الإيـــداع: ٢٠١١/٩٥٧٥
الغلاف والصور: الفنان كمال غطاس

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

نيافة الحبر الجليل الأنبا أثناسيوس
أسقف بني مزار والبهنسا

الفهرس

تقديم نيافة الأنبا أثناسيوس..... ٩

تصريح ترجمة ونشر الكتاب ١٥

أهميَّة كلمة الله لنصرتنا الروحيَّة ـ تقديم..... ١٧

وجود الله ١٨

هل الله حقًّا مختبئ؟..... ١٩

آه لو قدرتُ أن أسمع صوته شخصيًّا! ٢٢

الله يتكلَّم!..... ٢٣

قصَّة ـ تائهون في المحيط ٢٣

ما هو الكتاب المقدَّس؟ ٢٦

كتابة في ورق للحياة الأبديَّة ٢٩

خطابٌ مِن مُحِب ٣٠

مكتبة صغيرة جدًّا ٣٤

الكتاب المقدَّس ليس كتابًا علميًّا ٣٥

المبادئ الأساسيَّة في الكتاب ٣٧

مَن الذي يُفسِّر؟ ٤١

التقليد المقدَّس ٤٣

الكتاب المقدَّس والليتورجيا ٤٤

النسبيَّة ٤٦

أخبار ومعلومات، إصلاحات، تبديلات وتغييرات ٤٧

خروج الرب من الكتاب ٤٨
كلمته تجدني ٤٩
ماذا يقول الكتاب المقدَّس عن نفسه؟ ٥١
ماذا يقول آباء الكنيسة عن الكتب المقدَّسة؟ ٥٣
الاستعداد للنهاية ٥٦
تكريم الكتاب المقدَّس؟ ٥٨
هل لا يوجد وقت، أم لا يوجد حُب؟ ٥٨
افتحه! ٥٩
اقرأ بتوقُّع ٦٠
اقرأه كرسالة شخصيَّة ٦١
اقرأه بروح الصلاة ٦١
خُذ آية ووعدًا واحفظهما ٦٢
من الاستماع إلى التطبيق ٦٥
صعبٌ علينا فهمه ٦٧
دقَّات قلب الله ٧٠
ماذا يقول لنا الله في الكتاب؟ ٧٢
حوارٌ بين الله وشعبه ٧٣
ملخَّص ٧٤

تقديم نيافة الأنبا أثناسيوس
بسم الثالوث القدوس
الإله الواحد آمين

قراءة الكتاب المُقدَّس تحتاج إلى الإيمان بأنَّه كلمة الله المكتوبة بروحه القدُّوس: «**لأنَّه لم تأتِ نبوَّة قط بمشيئة إنسان، بل تكلَّم أُناس الله القدِّيسون مسوقين من الرُّوح القُدُس**» (٢بط١: ٢١). وهدف الكلمة المكتوبة: «**... الكُتُب المقدَّسة القادرة أنْ تُحكِّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع. كلُّ الكتاب هو موحى به من الله، ونافعٌ للتَّعليم والتَّوبيخ، للتَّقويم والتأديب الذي في البِر، لكي يكون إنسان الله كاملاً مُتأهِّبًا لكلِّ عملٍ صالح**» (٢تي٣: ١٦-١٧).

إنَّ الكلمة المكتوبة هي أنفاس الله، التي بنورها ننفصل عن الظُّلمة: «**سراجٌ لرجلي كلامك ونورٌ لسبيلي**» (مز١١٩: ١٠٥). كما أنَّه ليس للإنسان أنْ يُغيِّر فيه: «**لأنِّي أشهد لكلِّ مَن يسمع أقوال نبوَّة هذا الكتاب: إنْ كان أحدٌ يزيد على هذا، يَزيد الله عليه الضَّربات المكتوبة في هذا الكتاب**» (رؤ٢٢: ١٨-١٩).

بقراءة الكتاب المقدَّس نحسُّ بوجود الله ونشعر به، فهو ضابط الكل وبه كل شيءٍ كان، وبغيره لم يكن شيءٌ ممَّا كان (يو١: ١). وكثير من الناس يقفون عند قراءة الكتاب المُقدَّس

احترامًا لكلمة الله وأنفاسه، ويشعرون بوجوده ويتلامسون معه، فبدون الإيمان لا يمكن إرضاؤه (عب١١: ٦)، أمَّا الذين يقرأون الكتاب بدون إيمان فلا يشعرون بوجود الله الذي لا يخلو منه مكان، وذلك لعدم معرفتهم بالله أو ليس لهم علاقة معه: «**خرافي تعرفني وتسمع صوتي وأنا أعرفها (بأسمائها)**» (يو١٠: ٢٧)، أمَّا سبب عدم المعرفة فيقول الرُّوح: «**آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سَتَرَت وجهه عنكم حتى لا يسمع، لأنَّ أيديكم قد تنجَّسَت بالدم، وأصابعكم بالإثم. شفاهكم تكلَّمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشَّر. ليس مَن يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق. يتَّكلون على الباطل ويتكلَّمون بالكذب**» (إش٥٩: ٢-٥)، «**... تأتون إليَّ بتقدمة باطلة، البخور هو مكرهةٌ لي... لستُ أطيقُ الإثم والاعتكاف**» (إش١: ١٣).

الخطيَّة خاطئة جدًّا وتُعمي البصر والبصيرة، ولكن كلمة الرب تُنير العينين عن بُعد (مز١٩: ٨س)، فإنْ كنت تريد الله، آمن به فإنَّه موجود (عب١١: ٦). سبب عدم شعورك بوجود الله هو أنت! لم يعد لديك وقت لله، لعدم الرَّغبة وعدم الإرادة ومحبَّة الخطيَّة. الله لا يكون معك وأنت مع الخطيَّة، فالخطيَّة مظلمة والله نور، ولا يتَّفق النور والظُّلمة معًا أبدًا.

يقول الكتاب: «**كل مَن يعمل السيِّئات يُبغِض النور ولا يأتي إلى النور لئلاَّ تُوبَّخ أعماله**» (يو٣: ٢٠)، ولأنَّك لا تريد الله في حياتك، فهذا لا يعني أنَّه غير موجود أو أنَّه لا يبالي.

غياب الله عنك هو بسبب خطاياك وعدم مبالاتك، فإن كنتَ لا ترى الشَّمس بسبب النجوم، فهذا ليس معناه أنَّها غائبة أو غير موجودة، فبعد أن تنقشع الغيوم قليلاً قليلاً حينئذٍ ترى الشمس. إذًا عليك أن تتخلَّص من النجوم التي تحجب الشمس عنك، فتراه وتسعد به إذ يدخل بيتك.

يقول الكتاب: «**اسألوا تُعطَوْا، اطلبوا تجدوا، اِقرعوا يُفتَح لكم**» (مت٧: ٧)، هذه هي الصلاة، الله هنا يتكلَّم معك من خلال الكلمة المكتوبة ـــ أنفاس الله ـــ الكتاب المقدَّس.

يقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم:

[الكلمة صار جسدًا في بيت لحم، الكلمة الأزلي. هكذا مجد الله يحجب ذاته في الثوب الجسدي للفكر البَشَري].

الكلمة المكتوبة تغرس في قلبك حُب الله، وتدخل إلى أعماقه، تجد الحُب غير المحدود: «**لكلّ تمام رأيتُ منتهى، أمَّا وصاياك فواسعةٌ جدًّا**» (مز١١٩: ٩٦)، وأحبب أن يُكلِّمك بدلاً

مِنْ أن تكون غريبًا عنه: «**لستم إذًا بعد غرباء ونُـزُلاً، بل رعيَّة مع القدِّيسين وأهل بيت الله**» (أف٢: ١٩).

تجسَّد الكلمة وصار جسدًا في بيت لحم، الأزلي صار تحت الزَّمان مثلنا ليأخذ الذي لنا ــ عقوبة الخطيَّة ــ في جسده ويموت ويقوم بعظمة لاهوته. فمجد الله حجب ذاته في ثوب البشريَّة ليقترب للفكر البشري ونراه ونلمسه (١يو١: ١)، لأنَّنا صرنا به أهل بيت الله، والله أصبح بيننا ورأينا مجده مجد ابن وحيد لأبيه (يو١: ١٤)، الله في وسط شعبه (مز١٢٥: ٢)، فلا يتزعزع. اسمه عمانوئيل، الابن الوحيد هو خبَّر، له تسمعون، والنَّفس التي لا تسمع له أنا أدينها (تث١٨: ١٩).

كلمة الله قويَّة وفعَّالة وأقوى من كلِّ سيفٍ ذي حدَّين (عب٤: ١٢)، ويقول السيِّد: «**لو لم أكن قد جئتُ وكلَّمتهم لم تكن لهم خطيَّة، وأمَّا الآن فليس لهم عذر في خطيَّتهم**» (يو١٥: ٢٢). الله موجود مُخبَّرٌ عنه بالمصنوعات (رو١: ٢٠)، وروح الله في الكتاب المقدَّس، وأقنوم ابنه صار جسدًا ورأيناه (يو١: ١٤).

أخي الحبيب،

صوت الرب على الجبال، إله المجد أرعد. صوت الرب على المياه الكثيرة بقوَّة وجلال عظيم. الله كلمته أزليَّة ومنذ البدء يُكلِّمنا، فنعطيه

آذانًا صاغية لنخلص من ضعف بشريَّتنا ونلبسه ونسلك في طرقه. الكلمة قريبة منك وهي في قلبك.

هذا الكتاب عظيم في أسلوبه، ليِّن، هيِّن في تعبيره. نشكر الكاتب الأب أنتوني، ونشكر كل الذين لهم تعب في التَّرجمة والإخراج حتى وصل إلينا هذا الكتاب الرَّائع.

الرب يُبارِك في هذا الكتاب، ويُبارِك قارئيه، وكل الذين لهم تعب.

بركة العذراء مريم أُم الله الكلمة، وبركة السمائيِّين والشُّهداء والمُعترفين والقدِّيسين، وبركة الشَّهيد بدون سفك دم، أبينا القدِّيس البابا شنوده الثالث، يحيا إلى المجيء الثاني للربِّ يسوع، يُسلِّمه الأقباط بيده الطاهرة. آمين. آمين. آمين.

جمعة ختام الصَّوم — بنعمة الله

٧ برموده ١٧٢٦ش — أثناسيوس

١٥ أبريل ٢٠١١م — أسقف بني مزار والبهنسا

تـــصريح الأب أنتـــوني
كونيـــــــــــارس
لأسقفية بني مزار بترجمة
ونشر كتبه باللغة العربية

LIGHT & LIFE PUBLISHING

4808 Park Glen Road, Minneapolis, MN 55416
Telephone: (952)-925-3888 Fax: (888)-925-3918
www.light-n-life.com

Bishop Athanathious of Beni
Mazar and Behnesa
Benimazar
Arab Republic of Egypt

July 29, 2003

Your Grace,

I beseech your Episcopal blessing.

I am most pleased to grant you permission to translate any of my books into Arabic.

I must admit humbly that these books were written not by me but by the Holy Spirit, so we offer all praise to Him together with the Father and the Son, Amen.

Most respectfully,

+Anthony M. Coniaris
Anthony M. Coniaris

أهميّة كلمة الله لنصرتنا الروحيّة

تقديم:

عندما تقدَّم العدو ليجرِّب الرب على الجبل، استطاع أن يصدَّ كلَّ أفكار العدو بقوله: «**مكتوب**... »، وبذلك فهو يعطي أهميَّة قصوى للمكتوب في الأسفار المقدَّسة، كما يُعلِّمنا أنَّه بإمكاننا أن ننتصر في حروبنا الروحيَّة بقوَّة الكلمة المكتوبة، لأنَّ كلمة الله هي: «**سيف الرُّوح**»، فهي سلاح في أيدينا لازم وضروري لنصرتنا، ولا يمكننا الاستغناء عنه، أمَّا إهمال كلمة الله، فيجعل حياتنا الروحيَّة ضعيفة، وبالتالي نكون مُعرَّضين لخطر السقوط في شباك العدو وفخاخه.

هذا الاهتمام بكلمة الله أثناء الصوم الكبير كرَّسته الكنيسة، فأضافت قراءات من العهد القديم تُقرَأ أثناء صلاة باكر، قراءات يزداد طولها وعددها كلَّما امتدَّت أيَّام الصوم، حيث تبلغ قمَّتها يومي خميس العهد والجمعة العظيمة، حيث تتضاعف القراءات من العهدين القديم والجديد. أمَّا عن قراءات ليلة أبوغالامسيس (سبت النور) فحدِّث عنها ولا حرج، فهي عمقٌ ينادي عمقًا لتُختَم بقراءة سفر الرُّؤيا كله.

وكم من المؤمنين الذين يتبارون في قراءة الكتاب المقدَّس في

الصوم الكبير، بل ويوجد مَن يعاهدون الله أن يقرأوا كل الكتاب إبَّان فترة أيَّام الصوم المقدَّس.

كان القدِّيس الأنبا ابرآم أسقف الفيوم في مصر (تنيَّح في ١٠/٦/١٩١٤م) يقرأ الكتاب المقدَّس مرَّة كل ٤٠ يومًا، وكم كانت حياته مستنيرة بكلمة الله، حتى صيَّرته بركة للآخَرين؛ أثناء حياته وبعد نياحته.

وقيل عن "جورج فورمان" بطل العالم في الملاكمة، والذي اشتهر باسم: "القاتل" لضرباته القويَّة القاتلة إنَّه اعتزل الملاكمة وتفرَّغ لقراءة الكتاب المقدَّس والصلاة والتبشير بعد أن احتلَّ الكتاب المقدَّس جوانب عقله وفكره!

أمَّا العلاَّمة القدِّيس ديديموس الضرير (٣١٣م) والذي فقد بصره في الرابعة من عمره، فقد حفظ الكتاب المقدَّس بعهديه عن ظهر قلب، كما فسَّرها أيضًا حتى أُهِّلَ ليُعيَّن مديرًا لمدرسة الإسكندريَّة؛ منارة العِلم في عصره.

وجود الله

عندما سُئِل مارتن هيدجر Martin Heidegger، الفيلسوف الألماني في وقت ما عمَّا إذا كان ملحدًا فأجاب: "الحقيقة إنَّني لا أنكر وجود الله، ولكنِّي أقول فقط إنَّه غائب".

ملاحظة هيدجر تصف لنا حالة كثير من الناس اليوم، هم لا ينكرون وجود الله، ولكنَّهم يعيشون بإحساس ضئيل جدًّا بوجوده، فالله غائب من اختبارهم ومن حياتهم.

الإحساس بغياب الله ليس أمرًا جديدًا، فمن آلاف السنين تكلَّم النبي عاموس عن الله الذي يخفي نفسه، فحذَّر قائلاً:

«هوذا أيّامٌ تأتي يقول السيِّد الرب، أُرسِل جوعًا في الأرض؛ لا جوعًا للخبز، ولا عطشًا للماء، بل لاستماع كلمة الرب. فيجولون من بحرٍ إلى بحر، ومن الشمال إلى المشرق، يتطوَّحون ليجدوا كلمة الرب فلا يجدونها» (عاموس٨: ١١و١٢).

وكان عناء أيوب الشهير، هو أساسًا البحث عن الله الذي بدا كما لو كان لا يحبُّ الظهور له، فصرخ: **«مَن يعطيني أن أجده؟ فآتي إلى كرسيه»** (أي٢٣: ٣).

هل الله حقًا مختبئ؟

هل الله يختبئ؟ أجاب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم St. John Chrysostom على هذا السؤال ذات مرَّة فقال:

[كيف يمكن لمن هو نور العالَم أن يختبئ؟ ومع أنَّ الشمس تُشرق بضيائها وهي موجودة في كلِّ مكان، إلاَّ أنَّه ما أسهل للإنسان أن يحجب الضوء ويخلق لنفسه جوًّا من الظلام].

الله غير غائب، لكن بالأحرى الإنسان هو الذي لا يريد أن يكون الله محيطًا به. إنَّه الإنسان هو الغائب عن الله، أصبح الإنسان لا

يبالي وعدم المشاعر. لم يعد لدى الناس وقتٌ لله، فقد صاروا مشغولين بأشياء كثيرة. يكتب هنري نووين Henri Nouwen ويقول:

"قد تكون حياتنا مشغولة إلى ملئها بأحداث كثيرة هذا عددها حتى نتعجَّب كيف سننجزها كلها؛ إلاَّ أنَّه في نفس الوقت نشعر أنَّنا لا نُحقِّقها ونتعجَّب إن كان هناك شيءٌ يحدث يستحقُّ الحياة لأجله. مع أنَّنا ممتلئون، لكنَّنا لا ننجز شيئًا؛ مع أنَّنا مشغولون، إلاَّ أنَّنا فارغون؛ مع أنَّنا منهمكون، إلاَّ أنَّنا نشعر بالوحدة. هذه عوارض الحياة السقيمة، الحياة التي لم نعد نستمع فيها إلى صوت ذاك الذي خلقنا والذي لا يكف عن أن ينادينا إلى حياة جديدة فيه".

الله غائب لأنَّه توجد لدى البشر رغبة ضئيلة في وجوده. يؤكِّد الكتاب المقدَّس مرارًا وتكرارًا أنَّ الذين يبحثون عن الله هم الذين يجدونه. لا يأتي الله إلى من لا يريده، فهو لا يجبر أحدًا على قبوله. يقف الله على الباب ويقرع، وهو منتظرٌ أن نفتح له.

سببٌ آخَر يجعل الإنسان يرفض أن يكون الله حوله هو الخطيَّة. الخطيَّة أمرٌ غير مريح في حضور الله، ولعلَّ هذا هو السبب الذي دَفَع بآدم أن يهرب من وجه الله بعد أن أخطأ. عبَّر القدِّيس يوحنا عن هذا جيِّدًا عندما كتب: «**لأنَّ كلَّ من يعمل السيِّآت يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلاَّ توبَّخ أعماله**» (يو٣: ٢٠).

غياب الله لا يعني أبدًا أنَّه لا يبالي، قد يكون الله غائبًا لأنَّ الإنسان لا يريد وجوده حوله، ولكنَّه يظل إلى الأبد منتظـــرًا أن يكون موجودًا في حياة كل إنسان.

إنْ كان الله غائبًا عن كثيرين اليوم، فهذا بسبب عدم مبالاتنـــا، بسبب كبريائنا، خطايانا، سلوكنا الأخلاقي غير المُلتـــزم. ومع ذلـــك، فإنَّ الله لا يزال منتظرًا في الهدوء، في الظل، منتظـــرًا أن يبحـــث عنـــه الإنسان أو أن يطلبه. الله لا ينتظر فقط سلبيًّا، بل هو أيضًا بطريقة فعَّالة يبحث عنَّا مثلما يبحث الراعي عن خروفه الضال، وكمطارد سماوي لا يكف عن بحثه عن الإنسان.

منحوتٌ على حائط أحد الأعمدة في كولوني بألمانيا، ما كُتِـــب إبَّان عنف ويأس مجرى الأحداث في الحرب العالميَّة الثانية، وهو اعتراف قوي بالإيمان، ومضمونه:

"أومن بالشمس، ولو لم تُشرِق؛

أومن بالحُب، ولو لم أشعر به؛

أومن بالله، ولو كان صامتًا".

ولكنَّ الله لن يظل صامتًا إلاَّ إن أراد الإنسان ذلك. إن بدا أنَّ الله صامت، فهذا لأنَّه قال كلَّ شيءٍ و لم يعُد هناك مزيد ليضيفه. الله تكلَّم

في القديم بالأنبياء، وفي هذه الأيَّام الأخيرة كلَّمنا بما هو أسمى وبما يفوق ذلك، إذ كلَّمنا في شخص ابنه يسوع المسيح، ولا زال إلى الآن مستمرًّا اليوم في الكلام مع كلِّ واحدٍ منَّا؛ ولكن كيف؟

آه لو قدرتُ أن أسمع صوته شخصيًّا!

يوجد مِن الناس مَن يقول: "إنْ أُعطيتُ فرصة أن أسمع الله يتكلَّم إليَّ شخصيًّا، لأسرعتُ في جربي وخلعتُ حذائي لأُسرع في الرَّكض، ولو كان في آخرِ الدُّنيا لأسمعه". ولكن الله معنا هنا والآن ويتكلَّم مع كلِّ واحدٍ منَّا شخصيًّا. لم يعُد علينا أن نسافر إلى أقاصي الأرض لنسمعه، فهو يتكلَّم معنا كل الوقت من خلال كلمته؛ الكتاب المُقدَّس. ماذا يكون الكتاب المقدَّس سوى كلمة الله يتكلَّم لكلِّ واحد منَّا كلَّ يوم أحدٍ في الكنيسة في الليتورجيا، وفي كلِّ يومٍ في المنزل كما في الاجتماعات الروحيَّة. إنَّ كلمة الله هي بالتَّأكيد كما لو كان الله ذاته يتكلَّم معنا شخصيًّا.

يكتب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم ويقول:

[كما أنَّه عندما صار الله جسدًا في بيت لحم، وصار الكلمة الأزلي جسدًا؛ هكذا يكون في الكتاب المقدَّس، فإنَّ مجد الله يحجب ذاته في الثوب الجسدي للفكر البشري وفي كلمات بشريَّة].

الله يتكلَّم!

كلَّما التقطتُ الكتاب المقدَّس لأقرأه، أجد أنَّني أقول لنفسي: "الله يتكلَّم الآن لي". وهو لا يتكلَّم معي من خلال رعدٍ وبرق كما تكلَّم قديمًا مع موسى على جبل سيناء، ولكنَّه يتكلَّم كما كان الرب يسوع يتكلَّم مع تلاميذه وهو يلقي الموعظة على الجبل، فقد جلس معهم على سفح جبلٍ ممتِع وتكلَّم معهم شخصيًّا بكلمات الحياة.

كَتَب د. بيوس بارش Dr. Pius Parsch يقول:

"الكتاب المقدَّس هو كلمة الله الحيَّة الحقيقيَّة، لك ولي. عندما تقرأ الكتاب المقدَّس، فأنت لا تقرأ مجرَّد شيء تكلَّم الله به (إلى آخَرين) في الماضي السحيق والغامض، ولكنَّه يتكلَّم لك الآن. قراءة الكتاب المقدَّس هي حديثٌ ومخاطبة مع الله؛ فنصير بالفعل معه، وكم علينا أن نُقدِّر جدًّا هذه الحقيقة! عندما تصلِّي فأنت تتكلَّم مع الله، وعندما تقرأ الكتاب المقدَّس فإنَّ الله يتكلَّم معك، ليس مثل قاضٍ صارم، ولكن كأبٍ مُحب".

قصَّة:

تائهون في المحيط:

حدث أثناء الحرب العالميَّة الثانية، أنْ أصابت سفن الأعداء سفينة أمريكيَّة فغرقت في الحال ومات الكثيرون ولم ينجُ سوى

سبعة جنود وضابط واحد فقط كانوا قد استقلُّوا زورق نجاة مطَّاطي. ظلَّ هؤلاء ٢٥ يومًا وهم وسط مياه المحيط في خوفٍ شديد من أن تراهم سفن العدو، كما كانوا يواجهون عواصف المحيط الشديدة وأمواجه الهادرة، كما أنَّ الطعام والماء المخزون معهم كانا في تناقص مستمر.

كان مع أحد الجنود نسخة من الإنجيل، فاستمرَّ يقرأ للبحَّارة كل يوم، وكانت كلمات الإنجيل تمدُّهم بالعزيمة والأمل وترفع من روحهم المعنويَّة إلى أن أنقذتهم القوات البحريَّة. وبسبب ما حدث صارت البحريَّة الأمريكيَّة تضع نسخة من الإنجيل في كلِّ زورق نجاة.

قراءة كلمة الله ليست مجرَّد عمل روتيني، بل هي حُب وعشق إلهي. افتح إنجيلك وقُل لإلهك: "يارب أريد أن أجلس معك، أريد أن أسمع صوتك، فلا يوجد صوتٌ أجمل من صوتك يسعد كياني كله".

عندما تقرأ كلام الله في الكتاب المقدَّس، لا تأخذه كمجرَّد واجب... تقرأ أصحاحين في العهد القديم وأصحاحًا في العهد الجديد، وإنَّما أنت تقرأ الكتاب المقدَّس لينغرس حُبُّ الله أكثر وأكثر في داخل قلبك، وتدخل إلى أعماق عجيبة في حبِّ الله: «**لكلِّ كمال رأيتُ مُنتهى، أمَّا وصاياك فواسعة جدًّا**» (مز١١٩: ٩٦).

علينا أن نتذكَّر دائمًا أنَّ الله هو مُعطٍ للحياة أكثر من كونه معطيًا للناموس (الشريعة). هذه الحياة نحصل عليها من خلال الكلمة والأسرار.

الله يتكلَّم! هل ننصت؟ هل نقرأ؟ مع كل صباح نجد في كلِّ جريدة صفحة الطَّالع والبخت والأبراج، وملايين من الناس ينظرون إلى طالعهم في الجرائد كمرشد يومي! وباشتياقٍ وولعٍ شديد يدرسون وضع النجوم باحثين أن يجدوا فيها إجابة لمشاكلهم، ولكن بكلِّ ما للكلمة من معانٍ، فإنَّ كلمة الله موجودة في كلِّ منزل، وفي كلِّ حجرة في الفنادق. ومع ذلك، إذا ظلَّ الكتاب المقدَّس مغلقًا، فلا عجب إذًا أن يبدو الله غائبًا، فيبحث هؤلاء عن البخت في النجوم لتقودهم!

لا يجب أن يكون الله غائبًا، وفي الواقع هو أيضًا لا يريد أن يكون كذلك، أَمَا أخذ اسم: "عمانوئيل" ليكون هو الله معنا؟

قصَّة:

هل تتذكَّر ما الذي ساعد الـ P. O. W (المسجونين أثناء الحرب) أن يستمرُّوا على البقاء في تلك الأيَّام المريعة في سجون فيتنام الشماليَّة؟ لقد كان الكتاب المقدَّس. كانوا يتبادلون أعدادًا من الأسفار أو صفحات منه سرًّا وهم يتهامسون بعضهم مع بعض، وكانوا يكتبونه على المناديل الورقيَّة. كان الكتاب قد ملأ أحاسيسهم بحضور الله،

واستطاعوا أن يظلُّوا على قيد الحياة في ضيق السجون، وإلاَّ لكانوا دُمرُّوا عقليًّا ونفسيًّا وبدنيًّا.

لقد وجدوا أنَّ السبيل الوحيد، أثناء ذلك العذاب العقلي الوحشي الذي عانوا منه هو أن يُغذُّوا أنفسهم بمواعيد الله التي خبأوها في عقولهم وقلوبهم.

قال الرب يسوع: «**لو لم أكُن قد جئتُ وكلَّمتُهم، لم تكُن لهم خطيَّة، وأمَّا الآن فليس لهم عذر في خطيَّتهم**» (يو١٥: ٢٢). جاء الله في المسيح، وكلَّمنا، وأعطانا كلمته، وبيَّن أنَّنا مسؤولون عن كلمته حتى لو لم نقرأها، لأنَّه وضعها بين أيدينا.

ما هو الكتاب المقدَّس؟

كان شخصٌ ما يجوب البحر على بارجة حربيَّة، وكان في البحر لعدَّة أيَّام، ومع ذلك لم يتقابل أبدًا مع قبطان السفينة، وفيما كان يتمشَّى يومًا على ظهر المركب، سمع فجأة صوتًا من الإنتركم يقول: "القبطان يتكلَّم".

انتقل فكر هذا الشَّخص للتو نحو سفينة أخرى نركبها جميعًا، تلك السفينة التي نُسمِّيها: "كوكب الأرض". نحن ندور بسرعة شديدة في الفضاء في مدارات الكون. ولكن نحن أيضًا لدينا قبطان، وفي أي وقت نلتقط كتابه ونفتحه، الكتاب المقدَّس، ونقرأ فيه، فنحن

نسمع صوت سيِّد العالم يقول لنا: "ها هو قبطانكم يتكلَّم". وعندما نتقبَّل كلماته بإيمان ونحيا بها، تبدأ معجزات في أن تظهر، والحياة تتغيَّر وتتبدَّل وتتجلَّى. يصف سفر العبرانيِّين كلمة الله بالقول: «**حيَّة وفعَّالة وأقوى من كلِّ سيفٍ ذي حدَّين، وخارقة إلى مفرق النفس والرُّوح والمفاصل والمخاخ، ومُميِّزة أفكار القلب ونيَّاته**» (عب٤: ١١و١٢).

يصف القدِّيس باسيليوس كلمات الإنجيل بالقول التالي:

"**سهام محمَّاة بقوَّة الرُّوح القُدُس وتقع في قلب أولئك الذين كانوا قبلاً أعداءً للملك، ويجذبهم لمحبَّة الحق، ويجذبهم إلى الرب، حتى يمكن لأولئك الذين كانوا أعداء أن يتصالحوا معه**".

تغيَّرت حياة أغسطينوس تمامًا عندما سمع كلمات قائد حياتنا من خلال طفل صغير يقول له: "خُذ واقرأ"، ولمَّا فتحه قرأ: «**قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظُّلمة ونلبس أسلحة النُّور. لنسلك بلياقة كما في النهار: لا بالبطر والسُّكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات**» (رو١٣: ١٢-١٤)، ولمَّا قرأ هذه الكلمات، فإنَّه تغيَّر تمامًا.

كان "ملنر" محاميًا قديرًا شهيرًا. قالت له ابنته الصغيرة: "بابا! أنا أجيد القراءة الآن، هل تودُّ أن تسمعني؟"، فأجابها:

"نعم". أخذت الطفلة تقرأ من الكتاب المقدَّس: «**تُحبُّ الرب إلهك من كلِّ قلبك، ومن كلِّ نفسك، ومن كلِّ فكرك، ومن كلِّ قدرتك**» (مر١٢: ٣٠). أثَّرَت هذه الكلمات تأثيرًا شديدًا في الأب، حتى اعتبرها رسالة من الله على فم طفلته، ودخل غرفته وبكى كثيرًا وبدأ حياة جادَّة مع المسيح، ثمَّ رُسِم ليكون راعيًا لكنيسة إلى ثلاثين عامًا.

قصَّة:

تحدَّث الدكتور موفات، المُرسَل العظيم إلى أفريقيا عن قصَّة حدثت معه فقال: تقابلتُ مع صبي راعٍ للأغنام آمن بالمسيح، وكان فيما مضى صبيًّا رديئًا فظًّا للغاية، ولكنَّه تعلَّم قراءة العهد الجديد فأصبح لطيفًا طيِّبًا محبًّا ومهتمًّا بالآخَرين.

جاء هذا الولد ذات يوم إلى المُبشِّر وهو مضطرب للغاية وأخبره أنَّه يظن أنَّ كلبه أكل جزءًا من الكتاب الذي معه، فطمأنه موفات بأنَّه سوف يُحضِر له كتابًا آخَر، ولكن لم يكن لهذا الوعد تأثير على الولد الذي قال: "إنَّني خائفٌ على الكلب".

قال له المُرسَل: "إنْ كان الكلب يستطيع أن يُهشِّم بأسنانه قطعة عظم كبيرة، فلن يضرَّه إنْ أَكَل بعض القطع من ورق، كما أنَّ الكلاب بالفعل لا تأكل الورق". فردَّ الولد: "ليس هذا هو ما

أعنيه، فأنا كنتُ من قبل أكره أعدائي وأودُّ من كـــلِّ قلـــبي أن أقتلهم، لكن بعد أن أعطيتني الكتاب المقدَّس وقرأتُ فيه عن الرب يسوع، بدأتُ أُحبُّ أعدائي. والآن بعد أنْ صرتُ أشعر كما لو كان كلبي أكل جزءًا من العهد الجديد، أخشى أنَّه هو أيضًا سوف يبدأ يحبُّ الذئاب ويتركها تأكل من القطيع ما تشاء". ظنَّ الولد أن الكتاب المقدَّس الذي كان سبب تغييره، سوف يُغيِّـــر كلبـــه أيضًا. إنَّه لن يُغيِّر الكلاب، لكنَّه بكلِّ تأكيد سوف يُغيِّر كل يومٍ أولادًا وبنات ويجعلهم أكثر شبهًا بيسوع.

كتابة في ورق للحياة الأبديَّة

الكتاب المقدَّس هو الله يقول: "ها هو قائدكم يتكلَّم"، كمـــا أنَّ ورقاته فيها الحياة الأبديَّة. قال مهندس معماري يومًا ما لواحد من زبائنه: ''هذه هي الرسومات الخاصَّة لتشييد مبنى عمومي ضـــخم، وهي أروع ما تمَّ عمله في مكتبنا''، ثمَّ إنَّه بعد ذلك فتح درجًـــا في المكتب وأخذ منه نسخة من الكتاب المقدَّس وقال: ''نحـــن نعمـــل رسومات من أجل إنشاءات، ولكن هذا الكتاب الصغير يحوي ما هو أعظم من ذلك، فهو يرسم خططًا لحياة سعيدة وأبديَّة. قد تكون يا صديقي قد قرأته من قبل، أنا أعلم ذلك، ولكن اقرأه الآن ولا تكف عن قراءته، ستجد فيه خطط الله لخلاصك''.

بالإضافة إلى أنَّه صوت القبطان، ففيه أيضًا رسومات خطط حياتك، وكذلك فهو خطاب حُب شخصي من الله إليك. قال أحد المدرسيِّين المسيحيِّين العظام: ''لا أستطيع أن أقرأ قصَّة الإنجيل دون أن أشعر أنَّني قد غرقتُ في محبَّة الله، وأُعطيتُ أعظم جائزة في الحياة''.

كتب أحد الطلبة القاطنين في إحدى دور الملاجئ، والمُغرَمين بالاتِّصال بمن هم خارج أسوار الملجأ، كتب التالي في قطعة من الورق: ''لمن تصله هذه الورقة، أقول له: "إنَّني أُحبُّك"''. عَصَفَت الرِّيح بتلك الورقة فيما وراء الأسوار لتصل إلى يد أحدهم. بطريقة مشابهة، فإنَّ الكتاب المقدَّس هو رسالة حُب الله لي ولك، ورسالته هي: ''لكلِّ من يقرأ أقول له: "إنَّني أُحبُّك". الإمضاء: "ي. م" (يسوع المسيح)''.

الكتاب المقدَّس أعظم من أن يكون كتاب حُب، فهو خطاب حُب يحوي عرضًا من الله للارتباط بكَ في زيجة روحانيَّة، وهو يريد من خلاله أن يدخل في أعظم علاقة حميمة ممكنة معك، وهو يُوجِّه هذا العرض لك من خلال الكتاب المقدَّس، وهو ينتظر الإجابة بالموافقة، وهذا هو أهم موافقة على أمر في الحياة يجب عليك أن تقبله. عليك أن تقول: "نعم" أو "لا" لخالقك، لمخلِّصك، لإلهك! ومصيرك الأبدي يعتمد على إجابتك.

قصّة:

عندما صارت إليزابيث باريت Elizabeth Barret زوجة لروبرت برونينج Robert Browning، فإنَّ والديها نبذوها وتبرَّأوا منها لأنَّهما لم يرضيا بهذا الزواج. ومع ذلك، فقد استمرَّت الفتاة تكتب لوالديها خطابًا أسبوعيًّا تقول لهما فيه إنَّها تُحبُّهما وتريد أن تصطلح معهما. وبعد عشر سنوات وصل للفتاة عبر البريد الجوِّي صندوقٌ كبيرٌ فيه كل الخطابات التي أرسلتها، ولم يُفتَح ولا خطاب واحد منها! ومع أنَّ خطابات الحُب هذه صارت لا تُقدَّر بثمن في الأدب الإنجليزي الكلاسيكي، إلاَّ أنَّه من المحزن أن نعرف أنَّ والديها لم يقرآها. آه لو أنَّهما كانا قد أطلاَّ على خطاب واحد وفتحاه، فربَّما كانت قد استقامت العلاقات المكسورة مع ابنتهما.

الكتاب المقدَّس هو الصندوق الذي يحوي كل خطابات الله المملوءة حبًّا للبشر. تُعبِّر هذه الخطابات عن شوقه الحار ليتصالح معنا، ليرافقنا ويزاملنا ويتَّحد بنا. لم يكتب لنا هذه الخطابات لتظل مغلقة، لذلك عليكَ الآن أن تفتحها، وأن تقرأها لتكتشف مَن هو الله وكم أنَّه يُحبُّك!

توجد طُرُق مختلفة لأن تقول: "أُحبُّك يارب"، فقد تقولها من خلال الشِّعر، ويمكنك أن تقولها من خلال الموسيقى، أو تقولها من

خلال الترانيم، أو تقولها عندما تجد فصًّا من جوهر كريم، أمَّا الرب يسوع فقد قالها من فوق الصليب، وسلَّمنا رسالة : "الأخبار المفرحة" في الإنجيل، وكما قال أحد المولَعين الأذكياء بحبِّ الرب: "الله كتب محبَّة قلبه على ورق".

وُصِفَ الكتاب المقدَّس أيضًا أنَّه خطابٌ من الله لأولاده البعيدين عن المنزل وفي أرضٍ غريبة. تصوَّر كم يعتزُّ الأولاد الموجودون في الأرض الغريبة بالخطاب الآتي إليهم من والدهم، وكيف يتعزَّونَ ويفرحون ويتقوَّون بكلماته.

يكتب د. بيوس بارش بخصوص اتِّحادنا بالمسيح عندما نفتح الكتاب المقدَّس ونقرأه، فيقول:

"... مثلما حملته أُمُّه القدِّيسة العذراء داخلاً، هكذا نحن نحمل كلمة الله داخلنا، عندما اهتمَّت الأم العذراء بابنها الإلهي ولفَّته بالأقماط وهي معه في الخان. تفكَّر وتأمَّل بأيِّ عناية وعطف وعواطف أرضعته وربَّته واهتمَّت به. بالمثل يجب علينا أن نفعل نفس الشيء مع كلِّ كلمة في الإنجيل، ونعتبر أنَّها هي كلمة الله الحقيقيَّة لنا. علينا أن نقرأ الكتاب المقدَّس باهتمام الأم ومحبَّتها".

لو تأمَّلنا في كلمات القدَّاس الإلهي، لوجدناه تجميعًا حيًّا حقيقيًّا حاضرًا لأحداث الكتاب المقدَّس وكلماته. لأجل أن تُشارِك جيِّدًا في

القدَّاس الإلهي، يجب أن تغمُر نفسك في كلمات الكتاب المقدَّس. لاحظ أنَّ الألحان والترانيم والقراءات وأسلوب البناء والأيقونات وألوانها، إنَّما كلُّها تخدم غرضًا واحدًا وهو توصيل رسالة الكتاب المقدَّس إلينا.

الكتاب المقدَّس هو المهد والقماط الذي نجد فيه المسيح اليوم. إنَّه المرآة التي نرى فيه صورتنا كما هي، الساقطة في الخطيَّة؛ كما نرى فيه أيضًا كيف يمكننا بقوَّة الله ونعمته أن نصير أولاد الله، وارثين للمملكة الأبديَّة، وشركاء الطبيعة الإلهيَّة.

"... مِن أين أتيتُ؟ ولماذا أنا هنا على الأرض، وما هو مصيري بعد هذه الحياة؟"، هذه الأسئلة الأساسيَّة والحيويَّة هي التي يخاطبنا الكتاب المقدَّس بإجاباتها. هو الكتاب الوحيد الذي بخلاف أيِّ كتابٍ آخَر يمكنه أن يصل إلى قلب الإنسان ويفي باحتياجاته. الكتاب المقدَّس يتكلَّم بسلطان، فيقول النبي إشعياء: «**يبس العشب، ذبل الزَّهر، وأمَّا كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد**» (إش٤٠: ٨، ١بط١: ٢٤).

الفاعِل الأساسي والمركزي في الكتاب المقدَّس ليس هو حواء، الخاطئ الأوَّل؛ ولا سليمان الذي اشترك في تعدُّد الآلهة؛ ولا يهوذا الذي سلَّم المسيح؛ ولا بيلاطس الصالب؛ ولا بطرس الناكِر؛ ولا بولس المُضطهِد الذي صار كارزًا ومبشِّرًا. إنَّ مركز الكتاب المقدَّس، وكل

ما يدور عليه هو الرب يسوع. وكما أنّنا نجد في إنجلترا أنّه حتى أصغر قرية مُجهَّزة لتصل إلى قلب لندن، هكذا بالمثل نجد الكتاب المقدَّس في كلّ آياته يُوصِّل إلى الرب يسوع مخلِّص العالم، بطريقٍ مباشر أو غير مباشر. يكتب الرسول يوحنا ويقول: «**وأمَّا هذه فقد كُتِبَت لتؤمنوا أنَّ يسوع هو ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتُم حياة باسمه**» (يو٢٠: ٣١).

مكتبة صغيرة جدًا

الكتاب المقدَّس عبارة عن مكتبة صغيرة جدًّا يحوي جميع أنواع الكتابة، فنجد فيه الشِّعر، والصلوات، والترانيم، وأناشيد الحُب، والقصص ذات المعنى، والأمثلة، والاستعارات، والكنايات، والقصص التاريخيَّة، والأمثلة الشَّعبيَّة، والسِّيَر الشخصيَّة، والنبوَّات، والخطابات... إلخ. ونجد فيه أنَّ كل مؤلِّف يستخدم نوع الأدب اللغوي أو الأدبي الذي يناسب هدفه، ويجب أن يُفهَم جيِّدًا الشَّكل الأدبي المكتوب به حتى يوضَع تفسير صحيح يصبح من الممكن خلاله فهم قصد المؤلِّف.

وعلى سبيل المثال، إذا ما أتى زائر إلى الأرض من كوكبٍ آخَر وأخذ في قراءة الصُّحف، فسيعتبر أنَّ كل ما هو مكتوب هو صحيح، سيان أكان أعمدة جديدة، الهزليَّات، خطابات للناشر... إلخ، بينما

نعرف أنَّ أسلوب الكتابة يجب أن يُفسَّر بطريقة مختلفة. عندما نقرأ على سبيل المثال في المزمور: «**الجبال قفزت مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم**» (١١٤: ٤)، فيكون من الجهل أن نفهمه حرفيًّا.

الكتاب المقدَّس ليس كتابًا علميًّا

الهدف من الكتاب المقدَّس ليس هو توصيل حقائق تاريخيَّة أو علميَّة، فالله لديه طرق أخرى لمعرفة أسرار الكون، مثل: الجيولوجيا، البيولوجي، الفَلَك... إلخ. ومن وراء كل علم، يجد المؤمن المسيحي الله عاملاً في العالَم.

ليس الهدف من الكتاب المقدَّس أن نتعلَّم العلوم، ولكن أن نتعلَّم صفات الله، أن نكتشف الله وإرادته من نحونا. الكواكب سريعة الدوران لا تعطينا معلومات عن أنَّ الله يحبُّنا، ولكن في الكتاب المقدَّس فقط نجد الوعد والتسجيل بحبِّه لنا. يقول الكتاب: «**الله، بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة، كلَّمنا في هذه الأيَّام الأخيرة في ابنه**» (عب١: ١و٢). الكتاب المقدَّس معصومٌ من الخطأ عندما يُكلِّمنا عن الله، وعن قصده من أجلنا، وعن طريق الخلاص. إنَّه يكلِّمنا عن: "مَن خلق العالم" (ثيئولوجي theology)، ولكنَّه لا يكلِّمنا بالتفصيل عن (جيولوجيَّة geology) العالم.

يكلِّمنا الأرشمندريت سوفروني عن قصَّة أستاذ في علم الفَلَك

والذي أخذ يسأل كاهنًا من تلاميذه:

- "ماذا تقول كتبك المقدَّسة عن الفراغ الكوني وعن ربوات النجوم؟"

وبدلاً من أن يعطي الكاهن إجابة، فقد عرض سؤالاً آخَر:

+ "أخبرني أيُّها الأستاذ، هل تظن أنَّ العلم سوف يخترع مزيدًا من التلسكوبات القويَّة لترى ما هو أبعد في الفضاء؟"

- أجاب الأستاذ: "ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ التقدُّم مستمر، والعِلم سيمضي قُدُمًا لاختراع المزيد لاكتشاف الفضاء الخارجي".

+ قال الكاهن: "إذًا هل يوجد رجاء في أنَّه يومًا ما سيكون لكم المزيد من التلسكوبات لتكتشفوا ما لم يُعرَف بعد في العالَم، حتى أدق التفصيلات؟"

- قال الأستاذ: "هذا أمرٌ مستحيل، فالعالم غير محدود".

+ قال الكاهن: "إذًا يوجد حدود للعلم".

- أجاب البروفسور: "هذا حق".

+ قال الكاهن: "حسنًا أيُّها الأستاذ، عندما يبلغ العلم نقطة التوقُّف، هنا يبدأ عملنا، وهذا هو ما يختص به الكتاب المقدَّس".

بالرغم من أنَّ مؤلِّفين بشريِّين كتبوا كثيرًا، ودون اعتماد الواحد على الآخَر، لفترة قرون طويلة كتبوا كتبًا كثيرة عن الكتاب

المقدَّس، إلاَّ أنَّ المؤلِّف الإلهي يظل كما هو: "الرُّوح القُدُس". وتحت إرشاد الروح القدس، لا نجد أي تعارض بين الكتب المقدَّسة، بل هي تتكامل ويشرح الواحد الآخَر.

وعلى سبيل المثال. ففي سِفر التكوين، الذي هو السِّفر الأوَّل في الكتاب المقدَّس نجد خلقة العالم. وفي الرُّؤيا، آخِر سفر في الكتاب المقدَّس، نجد نظرة مُسبَقَة عن تجلِّي الأرض.

في التكوين نقرأ عن تمرُّد الشيطان الأوَّل؛ وفي الرُّؤيا نهايته.

في التكوين نقرأ عن دخول الخطيَّة؛ وفي الرُّؤيا نهاية الخطيَّة.

في التكوين نقرأ عن دخول الموت؛ وفي الرُّؤيا خروج الموت.

في التكوين نرى فقدان الإنسان لسلطانه على العالم؛ وفي الرُّؤيا استعادة السُّلطان.

واحدة من معجزات الكتاب المقدَّس، هي فيما أنَّ الكتاب كُتِب بواسطة مؤلِّفين مختلفين في غضون أكثر من ألف عام، فهو نتاجٌ إلهي، والروح القدس يظل حافظًا ومُطوِّرًا للأفكار والمواضيع المذكورة، واستمراريَّة الأفكار تجعل من اليسير علينا فهمه.

المبادئ الأساسيَّة في الكتاب

تُعطي الكنيسة الأرثوذكسيَّة اهتمامًا غير عادي للكتاب

المقدَّس، إذ تحسبه من ضمن وسائط تغذية مؤمنيها. وفي الواقع، فإنَّ الآباء القدِّيسين كانوا ينظرون إلى الكتاب المقدَّس كأيقونة مملوءة نعمة، ومع ذلك، فالكنيسة الأرثوذكسيَّة لا تؤمن بأنَّ كل كلمة فيه قد أُمليَت من الله حرفيًّا، أو أنَّه قد كُتِب كلمة كلمة بواسطة الشَّخص الذي كتب كل سِفر. مثل هذه الطريقة سوف تتَّهم الله بأنَّه يستخدم الناس كشرائط تسجيل، وهذا الانطباع يهين الله ويدمِّر الإنسان. البروفسور ثيئودور ستليانوبولس Fr. Theodore Stylianopoulos أستاذ العهد الجديد في مدرسة الصليب المقدَّس اللاهوتيَّة يسألنا أن ننظر إلى الكتاب على أنَّه تسجيل للحق فيكتب قائلاً:

"نشأ في التقليد الأرثوذكسي أنَّ الكتاب المقدَّس هو سجلٌّ للحق وبحسب آباء الكنيسة، فالحق هو الله وحده".

مثل هذا الاقتراب من الكتاب بحسب الأب ستيليانوبولس يترك مجالاً لـ: "للأشكال الليتورجيَّة والنصوص الأخرى ولقرارات المجامع المسكونيَّة، وتنحِّي الكنيسة من التركيز الوحيد على الكتاب دون شرحه حسبما عاشه الآباء... وهكذا فهي تحرس الحياة الأرثوذكسيَّة من خطأ التقدير الوثني لنص الكتاب والمعروف بـ: "عبادة الكتاب bibliolatry".

وبكلمات أخرى، الله استمرَّ في التكلُّم بعد كتابة الكتاب المقدَّس ونساخته وطبعه من خلال الآباء الذين فسرُّوه، والتقليد الذي حفظ

أسفاره المسجَّلة دون غيرها، وهذا هو كل مضمون التقليد المقدَّس. وإن كانت الكنيسة الأرثوذكسيَّة تفرِّق فيما بين التسجيل والحقيقة، وتقدِّر أيضًا السجلاَّت الأخرى لحياة الرُّوح القُدُس في الكنيسة. إلاَّ أنَّه: "يظل الكتاب المقدَّس السجل الأوَّل في التقليد اللاهوتي والعبادة في الكنيسة... إنَّ المنبع الأصلي للاهوت الآبائي هو الأسفار المقدَّسة... ولا يوجد كنزٌ في تقليد الكنيسة يساوي قيمة وسلطة وسهولة الحصول على الكتاب المقدَّس... يوجد لدى الكنيسة الأرثوذكسيَّة نظرة أساسيَّة لقداسة وسلطة الكتاب المقدَّس".

أُشاركك التوضيحين التاليين اللذين من الممكن أن يساعدانا في النظرة الأرثوذكسيَّة الشَّرقيَّة للكتاب ككلمة الله.

سأل شخصٌ ما صديقه: "هل تلبس زوجتك خاتمًا من الماس؟"

فأجابه: "نعم، بل وماسة كبيرة جدًّا".

فسأله: "وممَّ يتكوَّن باقي الخاتم؟"

فأجابه: "طوقٌ من الذهب".

فقال له الصَّديق: "الرب يسوع هو الماسة في المسيحيَّة، والكتاب المقدَّس هو ببساطة الطَّوق الذهبي الذي فائدته الوحيدة أن يُمسِك بقوَّة بالماسة، بكلِّ بريقها الوضَّاء".

وتوضيحٌ آخَر يساعدنا في فهم النظرة الأرثوذكسيَّة للكتب المقدَّسة هو الآتي:

سأل شخصٌ ما اللاهوتي الشهير تيلليك:

"ماذا تظن في الكتاب المقدَّس؟" فأجابه: "الكتاب المقدَّس يعنيني جدًّا، لأنَّني من خلاله أتعرَّف على المسيح، وكل مرادي وشغفي أن أكون مع المسيح".

فسأله الشَّخص: "ماذا تقصد؟"

فأجابه د. تلليك: "أنا شغوف بالكتاب المقدَّس لسبب هام جدًّا، لأنَّه بالنِّسبة لي هو السفينة التي تأتي بالرب يسوع إليَّ. أنت تدور حول السفينة تبحث عن تسرُّب للماء ورشح، وسيقول لك الرب يسوع يومًا: يا قليل الإيمان".

الكتاب المقدَّس هو ذلك الطوق الذهبي المُمسِك بالجوهرة الكثيرة الثمن؛ السفينة التي تأتي بالرب يسوع إلينا. نحن لا نعبد الطَّوق ولا السفينة، ولكنَّنا نعبد المسيح فقط، فهو وحده: «**الطريق والحق والحياة**» (يو١٤: ٦). يُقدِّر الكتاب المقدَّس على أنَّه الوسيلة والأداة التي تقودنا إلى الرب يسوع: «**المُذَّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم**» (كو٢: ٣).

الكتاب المقدَّس لا يقوم بمفرده، فهو في حاجة إلى تفسير.

مَن الذي يُفسِّر ؟

الكتاب المقدَّس في حاجة إلى تفسير صحيح. عندما سأل فيلبس الرجل الإثيوبي الذي كان يقرأ سفر إشعياء: «**ألعلَّك تفهم ما أنت تقرأ؟**» أجابه: «**كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد؟**» (أع٨: ٣٠و٣١). من يمكنه أن يساعدنا لنفهم كلمة الله؟

منذ أن كُتِبَ الكتاب المقدَّس بإرشاد الرُّوح القُدُس، والروح القدس الساكن في الكنيسة هو المُفسِّر الصحيح والأصلي والمُميَّز والمضبوط للكتاب. وبكلمات أخرى تكون الكنيسة الحارسة والقيِّمَة والوكيلة لتفسير الكتاب. الروح القدس الساكن في الكنيسة الذي أرشدها والذي يظل يرشدها هو الذي يقودها خلال القرون لتفسير الكتاب.

وكما أنَّ الآباء المؤسِّسين للولايات المتحدة أقاموا مجلس القضاء الأعلى ليكون الجسم القانوني المُعوَّل عليه تفسير الدستور؛ هكذا أقام الله الكنيسة كجسد المسيح لتُفسِّر الكتاب بطريقة قانونيَّة. تصوَّر معي أي تشويش وفوضى سيحدثان إن أخذ كل فرد في تفسير الدستور كيفما يشاء لصالحه! يكتب القدِّيس بطرس ويقول: «**عالمين هذا أولاً: أنَّ كلَّ نبوَّة الكتاب ليست من تفسيرٍ خاص، لأنَّه لم تأتِ نبوَّةٌ قط بمشيئة إنسان، بل تكلَّم أُناس الله القدِّيسون مسوقين من الروح القدس**» (١بط١: ٢٠و٢١).

كحارسة وقيِّمة على الكتاب المقدَّس، ظلَّت الكنيسة التي أُقيمت بطريقة حاسمة تحت إرشاد الروح القدس هي التي تُحدِّد أيًّا من الكتب التي كانت شائعة لتكون هي الأصيلة المُلهَمَة من الروح القدس. ومن ثمَّ فقد كانت الكنيسة هي التي حدَّدَت تركيبة أسفار الكتاب المقدَّس، وأعطته صلاحيَّة أنَّه إعلان الله الأصلي والموثوق به والحقيقي. برهن ترتليان Tertulian على أنَّ الكتاب المقدَّس ينتمي وينتسب للكنيسة، وإن كان هذا لا يروق للهراطقة.

الأرثوذكسيَّة تُعلِّم أنَّ التفسير الصَّحيح الذي لا يخطئ والناجع والكامل للكتاب لم يُمنَح لأفراد ولكن لجسد المسيح الكامل؛ أي الكنيسة، القائمة بالروح القدس والساكن فيها. لذلك، عندما عَقَدَ الآباء الرسل الأولون مجمعًا (أع١٥)، فإنَّهم استهلُّوا قراراتهم بالقول: «**لأنَّه قد رأى (استحسَن) الروح القدس ونحن...** » (أع١٥: ٢٨). وخلفاء الرسل، الأساقفة استمرُّوا في عقد مثل هذه المجامع والمعروفة بالمجامع المسكونيَّة، والتي صِيغَت فيها بنود قانون الإيمان والتي أصبحت ذات سُلطَة تنفيذيَّة جازمة وتخدم في شرح وتوضيح المعنى الحقيقي للكتاب المقدَّس. يُصِرُّ القدِّيس إيريناؤس Irenaeus على أنَّنا نقرأ الكتاب المقدَّس مع آباء الكنيسة الذين لهم المُعتَقَد الرسولي.

التقليد المقدَّس

يلعب التقليد المُقدَّس دورًا هامًّا في تفسير الكتاب، ونحن نقصد بالتقليد المقدَّس، كما يقول الأب فلاديمير لوسكي Vladimir Lossky: "حياة الروح القدس في الكنيسة". منذ حلول الروح القدس وهو يسكن في الكنيسة يرشدها إلى كلِّ الحق، أي أنَّه هو المُفسِّر الصواب والشارح للكتاب. لا تتجاهل الكنيسة الأرثوذكسيَّة ما علَّمه الروح القدس بخصوص الكتاب، بل على العكس فهي تذَّخر هذا الإعلان الذي يأتينا من خلال آباء الكنيسة والمجامع الكنسيَّة، لذلك فالكتاب المقدَّس والتقليد الكنسي ينتسبان إلى بعضهما، فكلاهما أتى من مصدرٍ واحد: ألا وهو حياة الروح القدس في الكنيسة. وبسبب هذا، نحن نؤمن أن الكتاب المقدَّس في حاجة إلى التقليد المقدَّس كتفسير حي لكلمة الله؛ تمامًا مثلما يحتاج التقليد المقدَّس إلى الكتاب كمرسى له وأساس.

أولئك الذين ينكرون التقليد المقدَّس يستبدلون فترة الألفي عام الفائتة كلها من حياة وعمل الرُّوح القُدُس في الكنيسة بتفسير شخصٍ واحد للكتاب، أكان هذا الشخص هو ماري باكر إدي Nary Baker Eddy أو بريجهام ينج Brigham Young. وبالمناسبة، فبحسب تفسير بريجهام ينج فهو يقول إنَّ الرب يسوع تزوَّج مريم ومرثا، كما أنَّه تزوَّج

أيضًا مريم المجدليَّة، والعرس الذي حضر فيه في قانا الجليل كان هو عرسه الخاص الشَّخصي. هذا نوعٌ من التقاليد الغريبة والدنسة التي تنتج عندما ننكر حياة الروح القدس في الكنيسة خلال قرون فاتت مقودة بالتفسير الصحيح لكلمة الله.

نحن لا نقرأ الكتاب المقدَّس كأفراد، بل كأعضاء في كنيسة الله، فالكنيسة بأجمعها تقرأه معنا، ونحن نقرأه مع الكنيسة جمعاء.

يكتب الأب كالستوس وير Fr. Kallistos Ware ويقول:

"... نحن لا نقرأ الكتاب المقدَّس كأفراد منفردين منعزلين، نفسِّره بمفردنا بحسب فهمنا الشَّخصي... بل نحن نقرأه كأعضاء في الكنيسة، في شركة مع الأعضاء الآخَرين في كلِّ العصور، والمعيار والمقياس الأخير لتفسيرنا للكتاب المقدَّس هو: "فكر الكنيسة". وهذا يعني أنَّه علينا أن نعي جيِّدًا وباستمرار كيف شَرَح التقليد المقدَّس الكتاب واستخدمه، ومن هنا سيستقيم المعنى؛ وبتعبير آخَر، كيف فُهِم الكتاب المقدَّس من الآباء والقدِّيسين، وكيف استخدموه في العبادة الليتورجيَّة".

الكتاب المقدَّس والليتورجيا:

نقرأ في كتاب: "الروحانيَّة الأرثوذكسيَّة" ما مفاده:

"كلمة الله الموجودة في الكتب المقدَّسة الموحاة من الله تظل أساس كل الروحانيَّة الأرثوذكسيَّة: «قدِّسهم في حقِّك، كلامك هو حق» (يو١٧: ١٧). يوضع الكتاب المقدَّس في الكنائس الأرثوذكسيَّة دائمًا وسط المذبح، حتى وإن كانت لا توجد علامة تدل على وجود خدمة إفخارستيَّة، فالكاهن بمجرَّد دخوله إلى المائدة المقدَّسة، يقبِّل الكتاب المقدَّس أولاً. الكتاب المقدَّس هو العنصر الأساسي لقوانين وعقائد وليتورجيات الكنيسة الأرثوذكسيَّة، والتي من خلالها تشبع النفوس الأرثوذكسيَّة وتتحصَّن بروح التقوى... ".

في صلوات عشيَّة وباكر يتقدَّم الكاهن في نهاية الخدمة إلى الشَّعب بالكتاب المقدَّس والمحفور عليه أيقونة المسيح القائم ليقبِّلوه. الرب يسوع يظهر للعابدين مرَّة من خلال إنجيل باكر الذي يُتلى صباح كل أحد، وهذا الظهور المسجَّل في الإنجيل للمسيح القائم هو الذي يدعو العابدين ليقبِّلوا صورة القيامة المحفورة على الكتاب، فالمسيح القائم هو قائمٌ حقًّا وسط المؤمنين من خلال كلمته. والكتاب المقدَّس أيضًا هو: "ظهورٌ إلهي theophany"، امتداد للظهور الإلهي للمسيح: «**الكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا**» (يو١: ١٤)، وهو مستمرٌّ في وجوده بيننا من خلال كلمته.

يحثُّ القدِّيس يوحنا ذهبي الفم St. John Chrysostom المؤمنين أن يقرأوا إنجيل يوم الأحد في منازلهم في مساء السبت الذي يسبقه

ويتأمَّلوا فيه، وبهذا كان المؤمنون يعدُّون أنفسهم لخدمة الرب يوم الأحد، ليتمتَّعوا أيضًا في الكنيسة بشرحٍ وتفسيرٍ للإنجيل.

من الأمور التي لها دلالة وأهميَّة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة أنَّ هناك شيئين ضروريَّين للحياة موضوعين على المائدة المقدَّسة: "الطعام والنور"؛ جسد الرب المقدَّس ودمه الكريم لغذاء الأرواح؛ أمَّا الكتاب المقدَّس فهو سراج لأقدامنا ويمدُّنا بالنور في رحلتنا عَبْر هذا العالم إلى منزلنا الحقيقي في السماء.

من المشوِّق أنَّ المؤرِّخ هارناك Harnack والذي ينتقد كعادته الكنيسة الأرثوذكسيَّة يمدحها بسبب تشديدها على أهميَّة الكتاب. يكتب هارناك ويقول:

"كلمات "الرب يسوع"... تأخذ مكانها الأوَّل في هذه الكنيسة، وهي تُقرأ على المشاع كما يقرأها المؤمن شخصيًّا، ولهذا فلن يمكن للخرافات أن تهدم قوَّتها".

النِّسبيَّة

لا شيء يُشوِّه القِيَم الروحيَّة والأخلاقيَّة في هذه الأيَّام مثل فلسفة النِّسبيَّة، والمسمَّاة: "الأخلاق الجديدة"، تلك النظريَّة التي تتمسَّك بأنَّ الحق المطلَق هو شيءٌ وهمي وسراب؛ نظريَّة أنَّه لا توجد قِيَم ثابتة، وعلى كلِّ فرد أن يقرِّر بنفسه في كلِّ وضع ما هو صواب وما هو

خطأ. وضدَّ هذا الكلام غير المستند على أي دعامة قويَّة يقول الكتاب: «**هكذا يقول الرب**».. الرب أعطانا وصايا وأهدافًا واضحة، ونجومًا تقودنا وتهدينا، ومبادئ وقِيَمًا وحقائق صلبة وقويَّة وثابتة ومتينة تصلح لا لجيل ولا لأجيال، ولكن إلى الأبد: «**السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول**» (مت٢٤: ٣٥)، وبعيدًا عن الرب يسوع يصبح الكذب هو الصِّدق.

أخبار ومعلومات، إصلاحات، تبديلات وتغييرات

INFORMS, REFORMS, TRANSFORMS

قال أحد الناس: "أغلب الكتب تمدُّنا بمعلومات، وقليل آخَر بإصلاحات، ولكن الكتاب المقدَّس وحده هو الذي يُغيِّر ويُحوِّل". ولكن الحق يقال إنَّ الكتاب المقدَّس يمدُّنا بهذه الثلاثة معًا، فهو يخبرنا عن الرب يسوع ابن الله، الذي إن عرفته تنال الحياة الأبديَّة. ويمدُّنا بإصلاح لأنَّنا نجد فيه المثال والمعيار الذي علينا أن نعيش عليه. كما أنَّه يُغيِّرنا، لأنَّنا نتواجه فيه وجهًا لوجه مع نعمة المسيح وقوَّته الذي به تتغيَّر كل الأشياء وتصير جديدة. نحن ننظر للكتب الأخرى كمعلومات، ولكنَّنا ننظر إلى الكتاب المقدَّس ليس فقط من أجل المعلومات، بل أيضًا من أجل الإصلاح والتغيير. الكلُّ متضمَّنٌ فيه.

في الكتاب التقليدي الروسي العظيم: "سائح على دروب الرب"، نقرأ عن جندي روسي في رُتبَة عالية فقد كل شيء بسبب اعتياده على مُعاقرة الخمر، إلى أن تقابل مع كلمة الله المخلِّصة القويَّة في الكتاب، فغيَّرته تمامًا.

قصَّة:

يكتب سولزنيتسين Solzhenitsyn عن رجل تقابل معه في معسكرات الإعدام السوفيتيَّة، ويتعجَّب من أنَّه كيف يمكن أن يوجد شخصٌ في هذا المكان ويظل ودودًا، لطيفًا، بكامل قواه العقليَّة. كما لاحظ أنَّه في المساء عندما كان يرقد هذا الرجل على دكَّته كان يُخرِج من جيبه قطعًا من الورق مكتوبًا عليها بضع آيات من الكتاب؛ كانت الكلمات في قطع الورق الصَّغيرة هي السبب في تغيير هذا الشَّخص من سجين مُحطَّم بائس يائس مُحب للانتقام سيِّئ الخُلُق إلى شخص مسالم عطوف مُحِب!

خروج الرب من الكتاب

قال أحد المراهقين المدمنين في إحدى المدن في نيويورك إنَّه يبدو أنَّ يسوع المسيح خرج لتوِّه من الكتاب المقدَّس وأثَّر فيَّ وغيَّر حياتي. خلُص هذا المدمن من الإدمان عن طريق خدمة الرجل المبجَّل دافيد ويلكارسون Rev. David Wilkerson. قال الشاب: "صار الرب

يسوع شخصًا حيًّا بالنِّسبة لي، وقد وقف معي في محنتي ومشاكلي". الإنجيل هو قوَّة الله للخلاص (رو١: ١٦)، إنَّه الكتاب المقدَّس الذي يسرع ويقفز لتمتد قوَّته في حياتك وحياتي!

يشهد رئيس الأساقفة أنتوني بلوم Archbishop Anthony Bloom أنَّ حياته تغيَّرت عن طريق حادثة حدثت له أثناء أيَّام دراسته فيقول: "بينما كنتُ أقرأ بداءة إنجيل مرقس... صرتُ على وعيٍ كامل أنَّ هناك على الجانب الآخَر من المكتب حضورًا غريبًا، وكان التأكيد قويًّا جدًّا أنَّ الرب يسوع هو الواقف هناك، حقيقة لم تترك ذهني أو تفكيري أبدًا. كانت هذه هي نقطة تغيير حياتي الحقيقيَّة". أسرع الرب يسوع وخرج من الإنجيل إلى حياة أنتوني بلوم وغيَّرها.

كلمته تجدني

واحدة من أرقى الأشعار التي قيلت عن الكتاب المقدَّس هي التي ألَّفها الشاعر كولريدج Coleridge، وقال فيها ببساطة تحت عنوان: "هو يجدني"، وكان من ضمن ما قاله:

"هو يجدني في أفعالي الشرِّيرة، ويبكِّتني عليها.

هو يجدني في وحشتي، ويأتي بي إلى صداقة إلهي.

هو يجدني في احتياجي، ويأتيني بالإجابة الإلهيَّة لاحتياجي".

هل نعطي نحن كلمة الله فرصة لتجدنا؟ كم من مرَّة نفتح الباب للحضور الإلهي؟

قصَّة:

ذهب رجلٌ مُلحد إلى اليابان، وهناك فوجئ بالقبض عليه وإلقائه في أحد السجون لأسباب غير معلومة، وعلى مدى الشهور التي قضاها في المعتقل بدأ عقله يفكِّر في معنى الحياة وعن وجود إله حقيقي خالق ومدبِّر للكون.

بدأ عقل هذا الملحد يسترجع بعضًا ممَّا كان قد سمعه من زمن بعيد عن المسيحيَّة فتشوَّق إلى معرفة المزيد. سأل الرجل حُرَّاسه إن كان من الممكن أن يحصل على نسخة من الكتاب المقدَّس، فتلقَّى الحراس كلماته بعاصفة من الضحك كما لو كان قد قال نكتة طريفة! فهم لا يؤمنون بوجود الله، ووجَّهوا له تحذيرًا شديدًا ليكف عن طلبه هذا، ولكنَّه زاد إلحاحًا في طلبه.

بعد سنة ونصف من الإلحاح، أحضر له أحد الحراس نسخة من الكتاب المقدَّس، وألقى بها إليه على أن يستردَّها بعد ثلاثة أسابيع، ونفَّذ الحارس ما قاله، و لم يرَ السجين تلك النُّسخة مرَّة أخرى حتى أُطلِق سراحه وغادر البلاد!

عاد نفس الرجل بعد ثلاثة أعوام إلى اليابان ومعه زوجته

وطفله الرضيع ليبشِّر بالإنجيل! لقد استطاعت كلمة الله ـ في ثلاثة أسابيع فقط ـ أن تُغيِّر قلب الملحد وتجعله مسيحيًّا مؤمنًا ثمَّ خادمًا للإنجيل.

قصة:

قرأ "ماني بروتمان" اليهودي في أسفار العهد القديم عن أنَّ الله سيُرسِل ذبيحة كاملة للتكفير عن الخطايا، وهو المسيا الذي وجد أنَّه سيولد في بيت لحم من عذراء، ويموت مصلوبًا ثمَّ يقوم من الأموات. وجد بروتمان أنَّ هذه الأمور لا تنطبق إلاَّ على شخص واحد في التاريخ اسمه: "يسوع"، فركع وصلَّى قائلاً: "أيُّها المسيا، إن كنتَ موجودًا فتعالَ إلى قلبي وحياتي، واظهِر لي ذاتك وطهِّرني بدم كفَّارتك". أضاءت حياته فجأة بالنور، وصار الله قريبًا جدًّا منه، ووجد السلام ومعنى الحياة، والفرح والحق الذي كان يُفتِّش عنه.

أسَّس بروتمان الحركة المسيانيَّة العالميَّة، وأصبح قائدًا لها، وقد ربحت هذه الحركة آلاف اليهود للمسيح!

ماذا يقول الكتاب المقدَّس عن نفسه؟

دعنا نفحص باختصار ما قاله بعض مؤلِّفي الأسفار المقدَّسة الملهَمين عنه:

«وأمَّا أنتَ فاثبت على ما تعلَّمتَ وأيقنتَ، عارفًا ممَّن تعلَّمتَ، وأنَّك منذ الطفوليَّة تعرف الكتب المقدَّسة، القادرة

أن تُحكِّمك للخلاص، بالإيمان الذي في المسيح يسوع. كلُّ الكتاب هو موحَى به من الله، ونافعٌ للتعليم والتَّوبيخ، للتَّقويم والتَّأديب الذي في البِر، لكي يكون إنسان الله كاملاً، مُتأهِّبًا لكلِّ عملٍ صالح» (٢تي٣: ١٤-١٧).

وكتب الرسول يوحنا يقول:

«وأمَّا هذه فقد كُتِبَت لتؤمنوا أنَّ يسوع هو المسيح ابنُ الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه» (يو٢٠: ٣١).

وكتب القدِّيس بولس يقول:

«كل ما سَبَق فكُتِب كُتِب لأجل تعليمنا، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء» (رو١٥: ٤).

لم يعرف التلميذان اللذان كانا سائرين مع المسيح المقام على طريق عمواس أنَّه هو الرب يسوع. ظنَّاه غريبًا إلى أن أعلن ذاته لهما عند كسر الخبز، عندئذٍ رجعا إلى نفسيهما وقالا بعضهما لبعض: **«ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا إذ كان يكلِّمنا في الطريق ويوضِّح لنا الكتب؟»** (لو٢٤: ٣٢). إن سرنا اليوم مع المسيح المُقام وسمحنا له أن يُوضِّح لنا الكتب، عندئذٍ سيلتهب قلبنا وفكرنا باستنارة جديدة، وفهمٍ جديد، وقوَّة جديدة، وفرح ورجاء.

ماذا يقول آباء الكنيسة عن الكتب المقدَّسة؟

"الجهل بالكتب المقدَّسة جُرفٌ عظيمٌ وهوَّة عميقة".

(آباء الصحراء Desert Fathers)

[القراءة في الكتب المقدَّسة حصنٌ للنفس].

(مار إسحاق السرياني St. Isaac the Syrian)

[يتمشَّى الله في الكتب المقدَّسة كما في بستان، باحثًا عن الإنسان].

(القدِّيس أمبروسيوس St. Ambrose of Milan)

[عندما درستُ الكتب المقدَّسة والدينيَّة، وجدتُ فيها تعاليم كثيرة ومختلفة، كلَّها جواهر وفصوص وكنوز وغِنى وأفراح وسرور، وحياة أبديَّة].

(الأب كوسماس إيتولوس Fr. Cosmos Aitolos)

"وأنا الحقير سارافيم... أقرأ الكتاب المقدَّس يوميًّا. يوم الاثنين أقرأ إنجيل متى من أوَّله إلى آخره؛ ويوم الثلاثاء إنجيل مرقس؛ ويوم الأربعاء إنجيل لوقا؛ ويوم الخميس إنجيل يوحنا؛ أمَّا باقي الأيَّام فأقسمها بين أعمال الرسل ورسائل الرسل؛ ولم يحدث ولا ليومٍ واحد أن أهملتُ القراءة في الكتاب المقدَّس أو سير القدِّيسين. من خلال هذه

القراءات، ليست نفسي فقط، بل جسدي أيضًا كان يفرح وينتعش لأنّني أتخاطب مع الله. أمسك في ذهني حياته وآلامه، فأمجّده في الليل والنهار، وأعطي المجد لفاديّ لأجل كلّ مراحمه التي يغمُر بها الجنس البشري، ويغمرني أنا غير المستحق، سارافيم".

(القديس سارافيم ساروفسكي St. Seraphim of Sarov)

يقول القدّيس يوحنا ذهبي الفم:

[اَصغوا، يا مَن تعيشون في العالم (ولا أقصد هنا رجال الإكليروس أو الرهبان)، ولكم زوجات وأولاد، كيف يطلب منكم بولس الرسول قراءة الكتاب المقدّس بقوله: «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى بكلّ حكمة» (كو٣: ١٦)، وألاّ تعملوا هذا بخفّة بل باجتهاد وغيرة شديدين. أنصتوا، أتوسّل إليكم باهتمام لكلّ ما يبني الحياة المسيحيّة، وتدبّروا الكتب التي ستكون شفاء للنفس. إن لم تستطيعوا الحصول عليها كلّها، على الأقل اقتنوا على الأقل العهد الجديد: الأناجيل، الرسائل، أعمال الرسل، ولتكن هذه دائمًا معلّمة لكم. إن وقع بكم حزن، اغطسوا في تعاليم الكتاب كما لو إلى خزانة أدوية، وخذوا منها عزاء لنفوسكم في آلامكم، أكان هذا بسبب موت أو فقدان عزيز... بل وأقول لكم: لا تغطسوا فيها فقط،

بل خذوها جميعها إلى نفوسكم، واحتفظوا بها في عقولكم. هذا هو سبب كل الشرور: عدم معرفة الكتب المقدَّسة].

(Homily 1x on Colossians by St. Chrysostom)

"اعتاد الشيخ أن يقول: "الله لا يطلب شيئًا من المسيحيِّين سوى أن يصغوا إلى الكتب المقدَّسة، وينفِّذوا ما هو مكتوب فيها".

(آباء الصحراء Desert Fathers)

"منذ دخول الراهب إلى الدير، عليه أن يُكرِّس كل اهتمام ممكن وانتباه شديد لقراءة الكتاب المقدَّس. يجب عليه أن يدرس الكتاب عن كثب وبدقَّة ليكون دائمًا في ذاكرته. في كلّ قرار أخلاقي، وكلّ عمل، وكلّ فكر يجب أن يتدبَّر فيه من خلال تعاليم الكتاب المحفورة في ذاكرته... استمر في دراسة الكتاب المقدَّس إلى آخِر حياتك، لا تتوقَّف، ولا تدَّعي أنَّك تعرفه بكفاية، حتى ولو حفظته كلَّه عن ظهر قلب".

(الأسقف إغناطيوس بريانكانينوف Bishop Ignati Brianchaninov)

[الجهل بالكتب المقدَّسة هو جهلٌ بالمسيح].

(القدِّيس جيروم)

[دَخَل الرب يسوع بطن العذراء من خلال الأُذُن (عندما سمعت مريم كلام الملاك عند البشارة)].

(القدِّيس إفريم السرياني St. Effrem the Syrian)

نحن نُعجب وندهش كثيرًا من الآباء الأولين في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، ولنا احترام عظيم وتبجيل لهم، فهم جزءٌ خالد من تقليدنا العظيم. ولكنَّنا في حاجة إلى أن نسأل أنفسنا: ما الذي أوصل آباء الكنيسة إلى هذه الدرجة من العظمة؟ أليس لأنَّهم ارتووا بلا شِبَع مِن نبع الكتب المقدَّسة؟ اعتاد القدِّيس ذهبي الفم أن يقرأ رسائل بولس الرسول مرَّتين أسبوعيًّا، وأحيانًا ثلاث وأربع مرَّات. ولأعوامٍ طويلة كان يعقد الاجتماعات للوعظ لقطيعه مرَّتين أو ثلاثًا أسبوعيًّا لدراسة الكتاب المقدَّس. يجب أن تكون كلمة الله لنا الغذاء الآخَر الذي تكلَّم عنه الرب يسوع: «**لي طعامٌ آخَر لستم تعرفونه**» (يو٣: ٣٢).

الاستعداد للنهاية

يومًا ما سأل شخصٌ صبيًّا: "لماذا تهتمُّ جدَّتك بقراءة الكتاب المقدَّس هكذا باجتهاد؟"، فأجابه الصبي: "يبدو أنَّها تستعد للنهاية".

ولكن توجد طريقة أفضل من الاستعداد للنهاية التي لا نعرف متى ستكون! الطريقة المُثلى هي السَّير مع الرب يسوع كل يوم، ليعطينا الإرشاد اليومي والقوَّة.

وإحدى الطرق الهامَّة التي بها نسير معه بأن نسمح له أن يتكلَّم معنا يوميًّا من خلال كلمته.

الكتاب المقدَّس هو كتاب الله. تصادق معه، وسيجعلك صديقًا لله.

بعض الكتب تُذاق، والبعض يُبتَلَع، والبعض يُمضَغ ويُهضَم؛ أمَّا الكتاب المقدَّس فهو الكتاب الذي يجب أن يُذاق، وأن يُمضَغ، وأن يُبْتَلَع وأن يُهضَم، لأنَّه كلمة الله الحيَّة الفعَّالة والماضية والمعطية الحياة. نقرأ في سفر الرُّؤيا أن "تؤكل" الكلمة حرفيًّا: «**اذهب خُذ السِّفر الصَّغير المفتوح... فقال لي خذه وكُلهُ...** » (رؤ١٠: ٨-١١).

عندما تتدفَّق المياه من البئر فإنَّها تفيض في الصحراء الرمليَّة، والرمل يشرب الماء وينبت النخيل، لقد تحوَّل الماء إلى أشجار وإلى ثمار؛ هكذا بالمثل في حياتنا اليوميَّة، فإنَّ إرواء نفوسنا بكلمة الله تُثمِر لنا سلامًا وحبًّا، ورجاءً وسرورًا وضبطًا للنفس: «**لأنَّه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتُعطي زرعًا للزارع وخُبزًا للآكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُرِرتُ به وتنجح في ما أرسلتُها له**» (إش٥٥: ١٠-١١).

تكريم الكتاب المقدَّس

يولي المسيحيُّون الأرثوذكس احترامًا خاصًّا للكتاب، فنُغلِّفه بالذهب، ونضعه تاجًا على المائدة المقدَّسة، ونُقبِّله احترامًا، ونحمله في الاحتفالات العظيمة ودورات القدِّيسين، ونقدِّم البخور أمامه، ونضع الشموع أثناء قراءة الإنجيل في الكنيسة، وينادي الشماس: "قفوا بخشوع وخوف من الله لسماع الإنجيل المقدَّس"، هذه تكريمات مختلفة وغيرها للكتاب، ولكن هل نكرمه بالطريقة المُثلى؟ هل نفتحه باستمرار لنقرأ الكنوز التي فيه؟ وهل ننادي مِن على السطوح بالأخبار والبشائر الطيِّبة التي فيه؟

هل لا يوجد وقت، أم لا يوجد حُب؟

قصَّة:

يشتكي كثيرون من ضيق الوقت لقراءة كلمة الله، ولكن الحقيقة أنَّه ليس موضوع وقت بقدر ما هو موضوع حُب، فنحن نُوفِّر الوقت باستمرار لِما نحبُّه. وعلى سبيل المثال، فقد كانت توجد فتاة لم تُبدِ أي اهتمام بقراءة كتابٍ ما، ولكن حدث مؤخَّرًا أن وقعت الفتاة في حُب مؤلِّف الكتاب، فتغيَّر مزاجها فجأة وأخذت في قراءة الكتاب مرَّة ومرَّات بشغف شديد. إذا ما وقعنا في حُب مؤلِّف الكتاب المقدَّس (الرب يسوع)، فلن يكون هذا عملاً مُملاً أن تقرأ كتابه الشَّخصي لك، بل وسيكون لذيذًا مُمتعًا. يقولون إنَّ أكثر

اثنين يقرآن الكتاب المقدَّس باهتمام هما القدِّيس والمُلحِد. المُلحِد لأنَّه يكره، والقدِّيس لأنَّه يُحِب.

كَتَب الأب فلوروفسكي يقول:

"لا يستفيد أحد من الكتاب المقدَّس إن لم يقع في حُب المسيح أوَّلاً، لأنَّ المسيح ليس نصًّا ولكنَّه شخصٌ حي، ويسكن في جسده، الكنيسة".

أرفع أشكال قراءة الكتاب المقدَّس هي لأولئك الذين يحبُّون الرب يسوع جدًّا، فتجعلهم يقرأون كلمته بشغفٍ ومسرَّة، فيذوقون حلاوة وجودهم معه من خلال كلمته. يجب ألاَّ نتوقَّع أنَّ الله يعطينا دائمًا إعلانات عظيمة عندما نقرأ الكتاب، فقراءة كلمة الله هي طريق أيضًا للبقاء مع الله، مُنعمًا علينا في حضرته، مختبِرين حضوره. عندما يذهب الأب مع صغيره ليصطاد السمك، فلا يكون هذا لمجرَّد صيد السمك، ولكن أيضًا لأجل أن يكون مع ابنه.

افتحه!

الكتاب هو الباب المؤدِّي إلى ملكوت الله، ويوجد في أمريكا أكثر من ٨ ملايين باب من هذا النوع يُشتَرَى كل عام؛ ولكن إن لم يُفتَح الباب، فلن يزيد عن أن يكون جزءًا من الحائط. نحتاج أن

نسأل أنفسنا، كم مرَّة نفتح بابنا على الملكوت؟ كم مرَّة نفتحه لنجد الله ونَدَع الله يجدنا؟

الكتاب المقدَّس هو كلمة الله، ولكنَّها لن تكون كلمة الله لنا إلاَّ إذا أنزلناها من فوق رفِّ الكتب وجعلناها جزءًا من فكرنا وقلبنا.

مُستثمرٌ جاد لن يفكِّر إلاَّ في أن يقرأ الجرائد الخاصَّة بمواضيع الاستثمارات يوميًّا؛ هل يمكن أن يكون أبناء هذا الدهر أحكم من أولاد الملكوت، كما قال الرب يسوع؟

اقرأ بتوقُّع:

عندما مات عضو غني في أسرة، حضر جميع الأقارب مع المحامي لقراءة الوصيَّة، وفيما كانت تُقرأ، كان كل شخص يصغي بانتباه شديد، متوقِّعًا بتلهُّف أن يسمع اسمه أو تسمع اسمها. شخصٌ هَرِمٌ كان موجودًا، وكان ثقيل السمع، وضع بوق سمع في أذنه لئلاَّ تفوته كلمة ممَّا تُقرأ.

هذه صورة عن كيف يجب أن نصغي بتوقُّعٍ عندما يتكلَّم الله، فكلُّ ما يقوله هو موجَّه مباشرة وشخصيًّا لنا. نحن ننتظر أن نرث ملكوتًا، وكل ما وعد به موقَّعٌ اسمُنا عليه.

اقرأه كرسالة شخصيَّة:

يكتب د. بول تورنييه Dr. Paul Tournier ويقول:

"وفوق كل شيء، كتاب الله الكلمة المُعلَن والمتجسِّد، والذي يتكلَّم به الله، يجب أن تكون على اتِّصال وتلامس مباشر معه. عندما يتم هذا التلامس، لن تعود قراءة الكتاب عملاً شاقًّا أو مملاًّ أو مُتعِبًا كما لو كنت تحل لغزًا أو أحجية... بل ستكون حوارًا بين اثنين تلامسا شخصيًّا".

نحن نصير بشرًا حقيقيِّين كلَّما نسمح لله أن يتكلَّم معنا.

يقول الأب تيخون الـــذي مـــن زودانـــسك Fr. Tikhon of Zodansk:

"وقتما تقرأ الكتاب المقدَّس، يكون المسيح نفسه هو الـــذي يكلِّمك. وعندما تبتهل بما تقرأ، فأنت تكون مُصلِّيًا ومتكلِّمًـــا معه".

عندما كان يوحنا السلَّمي يسمع الإنجيل يُقرأ في الكنيـــسة، كان يرتعش تورُّعًا لشعوره أن الرب يسوع يتكلَّم معه مباشرة.

اقرأه بروح الصلاة:

قبل قراءة الإنجيل في القداس الإلهي، يُصلِّي الكاهن سرًّا ويقول:

"أيُّها السيِّد الرحيم، أنر عقولنا وأفكارنا وقلوبنا،

وافتح عيون أذهاننا، لنستحق سماع أناجيلك المقدَّسة ونحفظ وصاياك وأوامرك،

ونثمر فيها بمئة وستين وثلاثين،

بالمسيح يسوع ربِّنا".

على كلٍّ أرثوذكسي أن يُقدِّم صلاة قبل أن يقرأ كلمة الله، لأنَّه من خلال إرشاد الروح القدس يمكننا أن نفهم كلمات الكتاب.

خُذ آية ووعداً واحفظهما:

لا تترك الكتاب بعد أن تقرأه دون أن تتذكَّر منه على الأقل آية كل يوم، خذها معك، ردِّدها، اجعل منها ضابطًا لأفكارك على مدى اليوم. ارجع لها عند الاحتياج، وعِش فيها طول اليوم. اجترَّها مثلما تجتر البقرة طعامها، نَم وهي معك طول الليل، وهكذا يصبح من الممكن أن تحمل الإنجيل في قلبك: «**لتسكن فيكم كلمة المسيح بغِنى**» (كو٣: ١٦). يمكننا أن نعمل خزينًا من هذه الآيات ومعها التأمُّلات الجميلة في كلمة الله، ولتكن هذه الآيات في رفقتنا طول اليوم، لتعطينا القوَّة، والعزاء، والإلهام وقت

الحاجة. هذه المواعيد الإلهيَّة تأتي لمساعدتنا عندما نحتاج إليها، ستنفعنا وتصون الحياة عندما نجد أنفسنا طافين بلا مرساة والسفينة تكاد تغرق في بحر الحياة. كان القدِّيس جيروم Jerome ينصح أن تُحفَظ فقرة من الكتاب عن ظهر قلب كل يوم، ويقوم المؤمن مرتَّين أو ثلاثًا ليُردِّدها في الليل.

يكتب القدِّيس لوقا عن مريم ويقول: «**أمَّا مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكِّرة به في قلبها**» (لو٢: ١٩). ثبَّتت العذراء فكرها وقلبها على مواعيد الله العجيبة. ويقول المرنِّم: «**خبَّأتُ كلامك في قلبي لكيلا أُخطئ إليك**» (مز١١٩: ١١). كان المرنِّم يخزن كلمة الله في قلبه حتى يجد القوَّة عند الحاجة.

لا يجب أن نكون مجرَّد قارئين للكتاب، بل نمتلكه ونستحوذ عليه. وبخصوص خزائن الفكر، فلا شيء يتلفها أو يُخرِّبها. ومتى احتفظنا بكلمة الله في خزانة الفكر فلا شيء يستطيع أن يأخذها؛ لا ريح، ولا جو، ولا عواصف يمكنها أن تهدمها. وعندما تدخل التجربة إلى حياتنا، نتذكَّر دفعها القوي، ثورتها، قوَّتها. إنَّها تتحدَّى، تُحذِّر، تُلهِم، تُقوِّي قلوبنا.

يتكلَّم باليديوس Palladius عن الرُّهبان الباخوميِّين فيقول:

"كلُّهم مُتعلِّمون الكتب المقدَّسة ويتلونها عن ظهر قلب".

كان القانون في الأديرة الباخوميَّة واضحًا:

"لا يُسمَح بتواجد راهب في الدير دون أن يتلو عن ظهر قلب، على الأقل الأناجيل وسفر المزامير".

وبحسب القدِّيس باسيليوس St. Basil:

"كان العمل الأساسي للرهبان هو دراسة الكتاب المقدَّس".

ويتكلَّم يوحنا كاسيان John Cassian عن تكرار تلاوة النصوص المحفوظة حتى يتشكل الفكر بصورة المسيح.

وبحسب سيساريوس Caesarius ففي قوانينه للراهبات، يتكلَّم عن الأخت التي تستمر في القراءة بصوتٍ عالٍ أثناء عمل الراهبات الأخريات، حتى: "لا يتوقَّفن عن الهذيذ بكلمة الله وصلاة القلب أثناء العمل".

ونحن نرى من تلك الممارسات القديمة كم كانت القراءة في الكتاب مهمَّة للنمو الرُّوحي.

من أجل أن نقتني كلمة الله، لا يلزمنا أن نعدو ركضًا، ولكن أن نقرأه ببطء وننظر فيما وراء ما هو مكتوب. ماذا يرى سائقو العربات من الأزهار الجميلة على جانبي الطريق إذا ما تجاوزوا السُّرعة المُحدَّدة؟ يطلب القدِّيس بولس أن ندع كلمة

المسيح تسكن فينا بغنى، ولا نترك فقرة أثناء قراءتنا إلاَّ بعد أن تخطَّ علاماتها داخلنا.

يقول الرب يسوع: «**ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله**» (مت٤: ٤). نحن نصير إلى ما نأكله. نحن نصير إلى ما نغذّي به عقولنا. نحن نصير إلى ما نُثبِّت قلوبنا عليه. العقل البشري مثل حاسوب، ونحصل منه ما نحتاج إليه من البيانات التي أضفناها فيه. إن غذَّيناه بالنفايات، سنحصل منه على نفايات؛ وإن غذَّيناه بكلمة الله، سنحصل منه على كلام الله.

مِن مُسمَّيات الكتاب المقدَّس أنَّه: "صيدليَّة الله"، التي تحوي كل أصناف الأدوية اللازمة لكلّ أمراض الحياة، من الاكتئاب إلى الشُّعور بالعُزلة، إلى المرارة الداخليَّة والحاجة إلى الصَّفح والغفران. الكتاب المقدَّس ليس هو مجرَّد تاريخ في الماضي، ولا هو موضوع دراسة، بل: «**قوَّة الله للخلاص لكلّ مَن يؤمن**» (رو١: ١٦).

من الاستماع إلى التطبيق:

يكتب الأب إلكانينوف Fr. Elchaninov ويقول:

"**في فهمنا لكلمة الله، علينا أن نميِّز المراحل التالية: السماع، الفهم، القبول في القلب لما نسمعه، وأخيرًا التطبيق في**

الحياة. افحص نفسك، في أي مرحلة من المراحل أنت الآن؟ هل تقضي وقتك مع الكتاب مجـرَّد مـستمع؟ أم تقـرأه بنفسك بانتظام؟ وإن كنتَ تسمعه أو تقرأه، هل تقبل بجديَّة أن تجازف بأن تتغلغل معانيه داخلك لتفهمه؟ وهل تـصل الكلمات إلى ضميرك وقلبك؟ هل تُحرِّكهما وتأنِّبهما؟ وإن كان هكذا، فهل أنتجت ثمرها، وهل تُحرِّكـك للعمـل مُحطِّمة حالة اللامبالاة والفتور التي تعيشها، والحياة القانع بها؟ افحص نفسك، ببطء وهدوء، وابدأ في صعود درجات هذا السلَّم".

كتب القدِّيس مرقس الراهب St. Mark the Monk يقول:

"المتواضع في أفكاره والمشغول في العمل الرُّوحي؛ عندما يقرأ الكتاب المقدَّس، يُطبِّق كل ما يقرأه على نفسه وليس علـى الآخرين".

كلمة الله تُخاطب؛ ليس كل شخص على العمـوم، ولكـن تخاطبنا نحن، مباشرة وشخصيًّا. ما نقرأه، علينا أن نُطبِّقه على أنفسنا. الله يمسك بمرآة أمامنا ليمكِّننا أن نرى ما نحن فيه، ومـا يمكننـا أن نصير إليه بنعمته.

قرأ "جورج مولر" مؤسِّس الملاجئ المشهور الكتاب المقدَّس أكثر من مئتي مرَّة، وكان يتوقَّف عند الآية: «**غنُّوا لله... أبو اليتامى، الله في مسكن قدسه**» (مز٦٨: ٤و٥)، فصارت هذه الآية دعوة لإنشاء الملاجئ، فأنشأ خمسة ملاجئ تضُم عشرة آلاف يتيم!

كما استطاع المهاتما غاندي زعيم الهند تحرير بلاده من الاستعمار البريطاني بواسطة الـ"سياتا جراها" ومعناها اللاعنف أو العصيان المدني، وكان هذا تأثُّرًا بقول السيِّد المسيح في موعظته الخالدة على الجبل: «**طوبى للودعاء لأنَّهم يرثون الأرض**» (مت٥: ٥) والتي اطَّلع عليها أثناء ترجمة موعظة المسيح على الجبل في درس تعليم اللغة الإنجليزيَّة.

صعب علينا فهمه:

يقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم: إذا فكَّرتَ أنَّ الكتاب صعب أن تفهمه، عليك أن تتذكَّر أنَّ أجزاء منه كتبها صيَّادون بسطاء. لا تثبط همَّتك. الكتاب المقدَّس لم يكتبه فلاسفة، واذكر أنَّ فلاَّحين بسطاء فهموا ما كان يقوله الرب يسوع، وتبعوه.

توجد حقًّا أجزاء من الكتاب المقدَّس صعبة الفهم، ولكن توجد أجزاء أخرى أيضًا يمكننا أن نفهمها، فدعنا نختار أن نُركِّز على هذه. وكلَّما قرأنا أكثر، كلَّما فهمنا أكثر، فالكتاب يشرح الكتاب،

وفقرة يمكن أن تشرح فقرة أخرى؛ والنتيجة أنَّه بعد عام أو عـــامين من القراءة المنتظمة سنجد أنفسنا فهمنا أجزاء كثيرة.

قصَّة:

قال شمَّاس لأحد الكهنة إنَّه لا يفهم أمورًا كثيرة في الكتـــاب المقدَّس، وهذا الأمر يجعله يتوقَّف عن القراءة بعد أن يصيبه الإحباط.

أثناء الحديث أشار الأب الكاهن إلى بقرة كانت واقفة أمـــام المعلف تأكل تبنًا، فطلب من الشمَّاس أن يراقبها، فرأى أنَّه عنـــدما كان يصادف البقرة عودًا جافًا أثناء أكلها للتِّبن، فقد كانت تطرحه جانبًا لئلاَّ تُضيِّع وقتها في مضغه، وهكذا كانت تفعل إن صـــادفها شوكٌ.

وقال الأب الكاهن للشمَّاس: "عليك يا ابني أن تـــتعلَّم هـــذا الدرس، فمتى قابلتكَ أشياء عسرة الفهم، لا تُضيِّع وقتك فيها، بـــل أجِّل قراءتها إلى وقتٍ آخَر، فقد تسمع لها شرحًا أو تفسيرًا أثناء عظة روحيَّة أو من خلال كتابٍ تقرأه. كلمة الله قادرة يا ابني أن تُخلِّص نفسك".

قال مارك توين ذات مرَّة: "كثير من الناس يتضايقون بسبب فقرات لا يفهمونها في الكتاب، ولكـــنَّني لاحظـــتُ باســـتمرار أنَّ الفقرات التي تضايقني هي تلك التي أفهمها".

قد تكون بعض الفقرات في وقتٍ ما غامضة، ولكن ليس من العسير فهمها. الغموض يحدث عندما يتناول الكاتب موضوعًا لم يستعد القارئ له بعد بدرجة كافية، بينما يكون الموضوع نفسه ذات معنى وواضح للذهن المستعد له، ولكن ليس للآخَر. بهذا المعنى نجد أنَّ رسالة الكتاب غامضة لمن لا يُعدُّون أنفسهم بالصلاة، ولكن ليس هو هكذا لمن يعيشون في الكنيسة وينالون منها الإرشاد المستمر لفهم كلمة الله. وكما أنَّ السماء هي مكان مُعدٌّ للمُستعدِّين، هكذا الكتاب المقدَّس هو كتابٌ مُعدٌّ للمستعدِّين: «**الإنسان الطبيعي (غير الروحاني) لا يقبل ما لروح الله لأنَّه عنده جهالة، ولا يقدر أن يفهمه لأنَّه يُحكَم فيه روحيًّا**» (١كو٢: ١٤).

قد يستخدم الله بعض فقرات الكتاب ليكون لها تأثيرٌ خاصٌّ عن الفقرات الأُخَرى، فنحن لا نتوقَّع أن تأثير الأنساب المذكور في سفر العدد يكون مثل مزمور الراعي ٢٣، أو يكون مثل تأثير إنجيل يوحنا. ومع ذلك، يظل يوجد في كل سِفر من الكتاب ما يُحرِّك فكرنا وقلبنا ليُرسِل رجاء لأنفسنا. نحن نحثُّ الذين لم يبدأوا بعد في قراءة الكتاب المقدَّس أن يستهلُّوا قراءتهم بالأناجيل الأربعة، لأنَّ فيها المفتاح الذي يفتح على باقي أسفار الكتاب. وحيث إنَّ الكتاب هو بالدَّرجة الأولى عن المسيح، من ثمَّ يصبح من المهم أن نبدأ بالأجزاء التي تتكلَّم عمَّا عمله وقاله عندما كان بيننا، أي، الأناجيل الأربعة.

الكُتُب العشرة المعروفة باسم: "الأسفار القانونيَّة الثانيـــة"، موجودة ضمن القانون الأرثوذكسي لأسفار الكتـــاب المقـــدَّس، ولكن بحسب التعليم الأرثوذكـــسي، يمكـــن قراءتهـــا للتعلـــيم والتهذيب، وهي مُتضمَّنَة في القانون الأرثوذكسي لأنَّها موجودة في الترجمة اليونانيَّة المعروفة بالسبعينيَّة التي استُخدِمَت أيَّام الرب يسوع.

دقّات قلب الله:

أجرت مستشفى كبيرة في مدينة نيويورك تجربـــة بـــسيطة ولكن مثيرة، وكانت نتيجتها مُبهِرَة. كانت المستشفى تُعاني مـــن مشكلة في قسم الحضانات، فقد كانت صرخات بعض الأطفـــال تزعج الآخَرين؛ ماذا يمكن أن تفعله المستشفى لتعطي الاطمئنـــان والسلام للمولودين حديثًا؟

حاولوا تهدئتهم بإذاعة الموسيقى الخفيفة في العنبر، ولكنَّها لم تنفع. اقترح شخصٌ ما أن تُسجَّل دقّات قلب إحدى الأمَّهـــات، وأن تذاع في عنبر الأطفال، فحدث كما لـــو كانـــت معجـــزة، الأطفال الذين كانوا يصرخون هدأوا وناموا، آه لقد سمعوا هـــذا الصوت من قبل أن يولَدوا، فهم يألفونه. كان صوت دقّات قلب الأم يعطي الحُب والطمأنينة.

إنَّ ما يصلنا من الكتاب المقدَّس هو صوت دقَّات قلب الله. وسط صخب العالم وضوضائه، ليس إلاَّ صوت واحد الذي يمنحنا سلام حضرة الله وحبَّه، هو صوت الله الخالق في الكتاب المقدَّس!

الجملة الافتتاحيَّة دائمًا في كتاب الـ"أبوفثاجماتا Apophthegmata Patrum أي أقوال الآباء Sayings of the Fathers" هي: "قُل لي يا أبي كلمة". وهذه كانت تُقال مرارًا وتكرارًا. الكلمة التي كانت تُطلَب لا هي فلسفيَّة ولا لاهوتيَّة، كانت كلمة مشورة أو تشجيع أو عزاء؛ هي كلمة تعطي العزاء للتلميذ التي يطلبها.

أتى راهب إلى القدِّيس باسيليوس أسقف قيصريَّة St. Basil of Caesarea ذات مرَّة وقال له: "قُل لي كلمة يا أبي"، فأجابه القدِّيس: "تُحِب الرب إلهك مِن كلِّ قلبك"، فمضى الراهب إلى حاله. بعد عشرين سنة عاد الراهب وقال للقدِّيس: "جاهدتُ طويلاً لأحفظ كلمتك؛ والآن قل لي كلمة أخرى"، فقال له القدِّيس: "تُحبُّ قريبك كنفسك"، ومضى الراهب ثانية إلى قلاَّيته ليحفظ الكلمة أيضًا.

كم هو جميلٌ أن نأتي كلَّ يوم إلى أبينا السماوي ونقول له ونحن نأخذ الكتاب: "قُل لي كلمة يا أبي، فإنَّ عبدك سامع". سيقول لنا كلمته، وستكون كلمة مُعطيَة حياة.

ماذا يقول لنا الله في الكتاب؟

يقول لنا الله في الكتاب المقدَّس:

"لقد خلقتكم، خلقتُ العالم. أنا أعرف كل شيء عنكم، وأعرف أفكاركم من قبل أن تُفكِّروا فيها. أنا أُحبُّكم وأهتمُّ بكم، وسأُعرِّفكم أسراري، فقد: «**وُهِب لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله**» (لو٨: ١٠). سأُطلعكم على طبيعة العالم الذي خلقته، وسأكشف لكم مَن أنتم ولماذا خلقتكم، وسأجعل علاقتي بكم مثل علاقة عريسٍ بعروسه، علاقة الأب مع بنيه، هكذا ستكون علاقتي بكم. سأكشف لكم كيف تنمون نحو قصدكم السامي، لتكونوا على هيئة الشكل الذي خلقتكم لأجله؛ أن تكونوا شركاء طبيعتي".

ممَّا لا شكَّ فيه حقًّا أنَّ الكتاب المقدَّس هو الكتاب الوحيد الذي يحوي إعلان الله. فيه قوَّة تقديسيَّة، كما يوصِّل للقارئ المؤمن نعمة الله وحقَّه وقوَّته. هو قادر أن يأتي بكلِّ إنسان إلى مواجهة شخصيَّة مع الله، لأنَّ كلمة الله تصبح كلمة الله القويَّة والفعَّالة والحيَّة بالرُّوح القُدُس.

قال العلاَّمة: "يوحنا سلدن" (أعظم فقهاء الإنجليز) عند موته: "مِن كلِّ قراءاتي ومِن كلِّ معارفي لا يبقى الآن معي شيءٌ ليعزِّيني إلاَّ كلمات بولس الرسول: «**صادقة هي الكلمة ومُستحقَّة كل قبول أنَّ المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة**» (١تي١: ١٥). بهذه الآية

ألتصِق، وعليها أتَّكِل، وهي تمنحني السلام والتعزية، وتجعلني أرحل إلى أبديَّتي سعيدًا!"

حوارٌ بين الله وشعبه:

ليس الكتاب هو حديثٌ مُفرَد من الله، ولكن هو بالحري حوارٌ بين الله وشعبه. وضَّح الأب جورج فلورسكي Fr. George Florovsky ذلك جيِّدًا عندما كَتَب يقول:

"نحن نسمع في الكتاب ليس صوت الله فقط، بل صوت الإنسان أيضًا يجيبه؛ بكلمات الصلاة، والشُّكر، والإعجاب، والاحترام، والأسى، والحُب، والحُزن، والابتهاج، والرجاء أو اليأس. يوجد، كما رأينا في القديم، شريكان للعهد؛ الله والإنسان، وكلاهما ينتسبان لبعضهما في سرِّ المواجهة البشريَّة الإلهيَّة الحقيقيَّة التي وُصِفَت وسُجِّلَت في قصَّة العهد. استجابة الإنسان تُدمَج وتتكامل في سرِّ كلمة الله. هو ليس حوارًا إلهيًّا متفرِّدًا، ولكن حوارًا ثنائيًّا، والاثنان يتحادثان، الله والإنسان.ولكن الصلوات والأدعية التي للمرنِّم المتعبِّد برغم ذلك هي: "كلمة الله". الله يريد، ويتوقَّع ، ويطلب هذه الإجابة واستجابة الإنسان. لذلك هو يعلن ذاته

للإنسان ويتكلَّم معه. إنَّ الله، لو جاز القول، ينتظر الإنسان ليتخاطب معه. الله يقيم عهده مع بني الإنسان. ومع ذلك، كل هذه الأُلفة والمودَّة والصداقة لا تعرِّض للشُّبهة السُّلطان الإلهي والسُّمو الفائق، فالله: «يسكن في نورٍ لا يُدنى منه» (١تي٦: ١٦). **ومع ذلك، فهذا النور: «يُضيء كل إنسان آتٍ إلى العالم»** (يو١: ٩).

وهنا يُستَعلَن سر الكلمة أي فاعليَّتها في تغيير حياة الإنسان للأفضل.

لذلك، فإنَّ كلمة الله تحتاج إلى استجابة كل واحد منَّا: استجابة لمشيئته المقدَّسة، استجابة إلى حوار مُستمر شخصي معه في الصلاة.

مُلخَّص

(١) الله ليس إلهًا غائبًا أو إلهًا يختبئ، الله أعلن ذاته وباستمرار ينتظر أن يوجَد.

(٢) الله ينتظر أن يُعلِن ذاته لنا من خلال كلمته المكتوبة في الكتاب المقدَّس، الذي هو كتابة في ورق للحياة، مهدٌ نجد فيه المسيح؛ كتاب حُب مُرسلٌ من الله لنا، ويحوي عرضًا للاتِّحاد معه.

(٣) الغرض من الكتاب المقدَّس هو: **«وأمَّا هذه فقد كُتِبَت لتؤمنوا أنَّ يسوع هو المسيح ابنُ الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة**

باسمه» (يو ٢٠: ٣١).

(٤) الغرض من الكتاب المقدَّس لا أن نتعلَّم العلوم الأرضيَّة، لكن الحقائق الروحيَّة عن الله والإنسان؛ وحيث إنَّ الكتاب هو مكتبة شاملة تضُم الأمثال والأشعار، والقصص، والتاريخ لذلك لا يجب تفسيره حرفيًّا.

(٥) ومع أنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة تنظر إلى الكتاب على أنَّه أيقونة مملوءة نعمة، إلاَّ أنَّها لا تُكرِّم النص الكتابي بطريقة وثنيَّة كما لو كانت كل كلمة مُنزَلة حرفيًّا من عند الله.

(٦) الكنيسة هي المُفسِّر الإلهي المُلهَم للكتاب. الرُّوح القُدُس الساكن في الكنيسة منذ حلول الروح القدس يقود إلى كل الحق.

(٧) الكتاب المقدَّس هو ظهور إلهي، ظهور المسيح في وسطنا اليوم، حيث يُخاطبنا من خلال كلمته.

(٨) الكتاب يعطينا الحقيقة الملزمة الخالدة عن الله. هي تُعلِن، وتُصحِّح، وتُغيِّر أولئك الذين يقبلونه بإيمان.

(٩) الكتاب هو باب يؤدِّي إلى ملكوت الله، ومن ثمَّ يجب أن يُقرأ بحب، بصلاة، بإيمان، قراءة شخصيَّة، وبتوقُّع لنسمح لكلمة المسيح أن تسكن فينا بغنى، فهو كتاب مُعدٌّ لشعبٍ مُستعد.

(١٠) الكتاب المقدَّس ليس هو كلمة أحادية من الله، ولكن حوار بين اثنين، الله والإنسان؛ وهو يحوي أخطر مصير، ألا وهو استجابة الإنسان لله لينال الخلاص.

☆ صلاة ☆

"يا رب، هبنا أن نسير في الطريق الرُوحي على نور كلمتك،
سالكين بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء،
مفتدين الوقت لأنّ الأيّام شريرة.

أعطنا أن نعيش كما يحقّ لإنجيلك،
فنحيا بروح الإنجيل وفكرك الإلهي،
فنستطيع أن نقول مع بولس الرسول:
«أمّا نحن فلنا فكر المسيح».

هبنا أن نسلك في الطريق باستقامة حسب وصيّتك المقدّسة،
مقودين بروحك لا بروح العالم.

هبنا أن نقرأ كلمتك بروح الصلاة والخشوع،
حتى تدخل الكلمة إلى أعماق النفس فتغيّرها،
وإلى أعماق القلب فتجدّده.

وأن نتمثل بالعذراء القدّيسة التي قيل عنها:
إنها كانت تحفظ جميع هذا الكلام، متفكّرة به في قلبها،
فنخبئ كلامك في القلب،
نتأمّل فيه ونلهج به، فلا نخطئ إليك.
هبنا أن نسمع كلامك ونعمل به، فنبني بيتنا على الصخر، حتى إذا جاءت رياح الضيقات، وأمواج التجارب، وصدمت البيت لا يسقط. لك كل المجد إلى الأبد. آمين".

يُطلب هذا الكتاب من :

- مطرانيـــة بنـــي مـــزار والبهنـــسا: (ت: ٠٨٦ ٧٨٣٠٠٣٣)
  (ت: ٠١٢٥٣٧٨٧٠٧)
- مكتبـــــة المحبـــــة – شـــــبرا: (ت: ٠٢ ٢٥٧٥٨٢٦٢)
- مجلـــــة مـــــدارس الأحـــــد: (ت: ٠٢ ٢٢٠٢٩٧٤٤)
- مجلـــــة مـــــرقص – شـــــبرا : (ت: ٠٢ ٢٥٧٧٠٦١٤)
- مكتبة مارجرجس شيكولاني– شبرا: (ت: ٠٢ ٢٢٠٢٣٢٣٤)
- مطرانيـــــــة ســـــــمالوط: (ت: ٠٨٦٧٧١١٧١١)
- مكتبـــــة الرجـــــاء - المنيـــــا: (ت: ٠١٠١٢٢٨٩٣٩)
- مكتبـــة دار الكلمـــة – أســـيوط: (ت: ٠٨٨٢٣٦٥٠١٠)
- مكتبـــة نيوشـــيري – ســـوهاج: (ت: ٠٩٣ ٢٣٣٩١٦٨)
- من المكتبات المسيحية والكنائس بالقاهرة والأقاليم.

*****

أُطلب أيضًا لنفس المؤلِّف والمترجم

(١) الله يعمل للخير ..... طبعة حادية عشر ٢٠١٠

(٢) الأرثوذكسية الشرقية طريق الحياة ..... طبعة سابعة ٢٠٠٩

(٣) حضور الله وقت المرض والحزن والاكتئاب واليأس ..... طبعة خامسة ٢٠١٠

(٤) الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور ..... طبعة خامسة ٢٠١٠

(٥) تطبيقات إنجيليَّة نافعة لموسم الصوم المُقدَّس ..... طبعة ثانية ٢٠١٠

(٦) كيف تجعل زواجك سعيدًا ..... طبعة عاشرة ٢٠١٠

(٧) كلّلهُما بالمجد والكرامة ..... طبعة رابعة ٢٠٠٩

(٨) كلمات السيِّد المسيح على الصليب ..... طبعة رابعة ٢٠٠٩

(٩) من هو المسيح؟ السيِّد المسيح يُعلِن عن شخصه..... طبعة ثالثة ٢٠١٠

(١٠) التوبة والاعتراف ..... طبعة سابعة ٢٠١٠

(١١) الصوم الأربعيني المُقدَّس - ربيع الرُّوح..... طبعة ثالثة ٢٠١٠

(١٢) تسليم الحياة لله ..... طبعة سادسة ٢٠١٠

(١٣) الصوم الأربعيني المُقدَّس - رحلة إلى السماء..... طبعة ثالثة ٢٠١٠

(١٤) البصخة المُقدَّسة - من سبت لِعازر إلى سبت النُّور..... طبعة ثالثة ٢٠١٠

(١٥) الفردوس بين يديك ..... طبعة ثالثة ٢٠١٠

(١٦) التطويبات - (١) طوبى للمساكين بالروح ..... طبعة ثانية ٢٠١٠

(١٧) لماذا جاء المسيح؟ ..... طبعة ثانية ٢٠١٠

(١٨) التطويبات – (٦) طوبى لأنقياء القلب ..... طبعة ثانية ٢٠١٠

(١٩) التطويبات – (٨) طوبى للمطرودين من أجل البر..... طبعة ثانية ٢٠١٠

(٢٠) رسالة تعزية ..... طبعة ثانية ٢٠١٠

(٢١) التطويبات – (٢) طوبى للحزانى – (٣) طوبى للودعاء..... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٢) تعزيات المسيح للحزانى..... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٣) التطويبات – (٤) طوبى للجياع والعطاش – (٥) طوبى للرحماء.... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٤) التطويبات – (٧) طوبى لصانعي السلام ..... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٥) يوم الرب ..... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٦) التطويبات – تعاليم السيد المسيح على الجبل..... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٧) الروح القدس وسر الميرون..... طبعة أولى ٢٠١٠

(٢٨) لقاء مع الرب يسوع في الأناجيل (الجزء الأول) ..... طبعة أولى ٢٠١١

(٢٩) الصوم المقبول ..... طبعة أولى ٢٠١١

كتيِّبات

(١) توبوا ...
(٢) احفظ نفسك طاهرًا
(٣) سر التناول
(٤) معنى الصليب
(٥) القيامة... العبور العظيم
(٦) الله يُحبُّك بلا حدود
(٧) عيد الصعود
(٨) معنى الحياة والهدف منها
(٩) مَن هو الروح القُدُس؟
(١٠) يوم الخمسين ومفاعيل الروح القُدُس
(١١) كلام... كلام... كلام
(١٢) سحابة من الشهود
(١٣) لا... للفشل
(١٤) لا تنظر إلى الوراء
(١٥) العفَّة
(١٦) لماذا التجسُّد؟
(١٧) بركات الميلاد
(١٨) قوَّة الصلاة
(١٩) توبة لص
(٢٠) غفران الله للخطاة
(٢١) أنا هو خبز الحياة
(٢٢) أنا هو القيامة والحياة
(٢٣) الإيمان بالمسيح الغالِب
(٢٤) أنا هو الطريق
(٢٥) كنيسة الرسل
(٢٦) عيد التجلِّي
(٢٧) كيف نُمارس سر الاعتراف
(٢٨) أنا هو نور العالم
(٢٩) أنا هو الراعي الصالح
(٣٠) الكرمة والثمار
(٣١) صلاة يسوع
(٣٢) أخبار سارة عن عيد الميلاد
(٣٣) عيد الغطاس، استعلان الثالوث
(٣٤) السامرية عند البئر
(٣٥) تمسَّك بالأمل
(٣٦) الصليب والغفران الثمين
(٣٧) المسيح قام... حقًّا قام
(٣٨) العذراء الشفيعة
(٣٩) المجيء الثاني والاستعداد له
(٤٠) استجابة الصلاة
(٤١) الحرب الروحية
(٤٢) إله وأب
(٤٣) الله ظهر في الجسد
(٤٤) الغطاس وتبريك المياه
(٤٥) الكنز الحقيقي
(٤٦) أيُّها المسيحي... اعرف من أنت!
(٤٧) انفتاح البصيرة
(٤٨) في بستان جثسيماني
(٤٩) الصليب ومحبَّة الله الغافرة
(٥٠) القيامة عيد الأعياد
(٥١) أنتُم نور العالم
(٥٢) حدِّد مصيرك الأبدي
(٥٣) ذنبٌ يصيرُ حَمَلاً
(٥٤) خدمة الملائكة
(٥٥) السيدة العذراء نموذج للمؤمن الحقيقي
(٥٦) الله يبحث عنك
(٥٧) هل تسمع قرع الحبيب
(٥٨) لا تغلق الباب

(٥٩) الله ينصب خيمته
(٦٠) ماذا يعني عيد الميلاد؟
(٦١) لا يحل لك
(٦٢) التواضع كنز الفضائل
(٦٣) الحنين إلى الله
(٦٤) فرح الله برجوع الخطاة
(٦٥) مخلّص العالم
(٦٦) العذراء عند الصليب
(٦٧) المحبَّة الخادمة
(٦٨) الإلحاد المعاصر
(٦٩) أنادي للمأسورين بالاطلاق
(٧٠) نقاوة القلب
(٧١) الروح الناري
(٧٢) فرحًا مع الفرحين وبكاءً مع الباكين
(٧٣) كيف نفتح الباب للرب يسوع؟
(٧٤) ما جئتُ لألقي سلامًا بل سيفًا
(٧٥) الدموع الشافية
(٧٦) الغفران والسلام
(٧٧) ينابيع السلام
(٧٨) من هم الودعاء؟
(٧٩) نجم المشرق
(٨٠) مضطهدون من أجل البر
(٨١) الصليب والاستشهاد في القرن العشرين
(٨٢) سبت لعازر
(٨٣) أحد الشعانين
(٨٤) اسهروا وصلوا
(٨٥) قد أكمل
(٨٦) وننتظر قيامة الأموات
(٨٧) لا تدينوا
(٨٨) روح القوة
(٨٩) الكنيسة الحية المتألمة
(٩٠) كيف ترتفع فوق العاصفة؟
(٩١) شهداء بواسل
(٩٢) الحسد والغيرة
(٩٣) الاهتمام الشخصي بالآخرين
(٩٤) هل تحب الآخرين وتعتني بهم؟
(٩٥) معرفتنا لله وأهميتها
(٩٦) كيف نستعد للعبادة؟
(٩٧) التطويبات والملكوت
(٩٨) من يكون الرب يسوع؟
(٩٩) يونان وتوبة نينوى
(١٠٠) اغفروا يغفر لكم
(١٠١) الصلاة في هدوء
(١٠٢) أعظم استثمار
(١٠٣) سر الألم
(١٠٤) فرحنا بقيامة المسيح
(١٠٥) نفخة الروح القدس
(١٠٦) تلاميذ معاصرون

تباع الكتيبات بقيمة رمزية بمبلغ خمسين قرشًا فقط للنسخة

الثمن : أربعة جنيهات

قراءة الكتاب المُقدَّس تحتاج إلى الإيمان بأنَّه كلمة الله المكتوبة بروحه القدُّوس. بقراءة الكتاب المقدَّس نحسُّ بوجود الله ونشعر به. الكلمة المكتوبة تغرس في قلبك حُب الله، وتدخل إلى أعماقه، تجد الحُب غير المحدود.

أخي الحبيب،

صوت الرب على الجبال، إله المجد أرعد. صوت الرب على المياه الكثيرة بقوَّة وجلال عظيم. الله كلمته أزليَّة ومنذ البدء يُكلِّمنا، فلنعطه آذاناً صاغية لنخلص من ضعف بشريَّتنا ونلبسه ونسلك في طُرقه.

هذا الكتاب عظيم في أسلوبه، ليِّن، هيِّن في تعبيره. نشكر الكاتب الأب أنتوني، ونشكر كل الذين لهم تعب في التَّرجمة والإخراج حتى وصل إلينا هذا الكتاب الرَّائع.

الأنبا أثناسيوس

أسقف بني مزار والبهنسا

المؤلِّف

هو الأب أنتوني م.كونيارس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم الأرثوذكسية اليونانية في مينيابوليس، وهو يتميز بغيرة رسولية حارة. كان مسئولاً عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجمع الاستشاري الديني. وقد نجح من خلال كتاباته في جعل الأرثوذكسية للشباب رسالة ذات تقليد حي، تتقبَّل كل ما هو حقيقي وجميل، وترفض كل ما هو زائف وفاسد.